جـــــــامعة عبد الرحمن ميرة –بـجاية–
كلـية الآداب واللـــــــــــغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

الأنا والآخـــر في رواية وشـــيء آخر "لعبد الملك مـــــرتاض"

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص:أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
– الويزة عراش
– سعاد بخوش

إشراف الأستاذة :
رشيدة غانم

السنـــــــة الجـــــــامعية : 2018 / 2019

مقدمـــــــــة

المدخـــــــــــــل:

الرواية الجزائرية وإشكالية الأنا والآخر

خاتمـــــــــــة

قائمة المصادر والمراجع

فهـــــــــرس المحتويات

ملخـــــــــص الرواية

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

اختلطت دموع فرحتي بتخرُّجي

وحزني بوداع أحبّتي في غمضة عين

مرّت أيامنا وها نحن

اليوم نجني قطافنا ونودّع أحبتنا

والمكان الذي ضمّنا هذه سنّة الحياة

ولكن فرحنا بتخرجنا ينسينا ألما

أهدي هذا العمل إلى والديّ العزيزين

عبد القادر – فتيحة

إلى إخوتي: مسعود، شافية، عبد اللطيف.

إلى الأستاذة الفاضلة: خانم رشيدة.

الويزة

إهداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

أتقدم بإهداء عملي هذا إلى:

إلى من في قلبها الحب والحنان... إلى من حملتني وهنًا

على وهن وأعانتني بالصلوات والدعوات، إلى أمّي الغالية أطال الله عمرك

إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار ابي العزيز

إلى رفيق دربي ونبراس حياتي زوجي "عبد الرؤوف" حفظه الله، وإلى عائلته

المحترمة

إلي إخوتي: عبد الرؤوف، رشدي، نجوى،

إلى الأستاذة الكريمة غانم رشيدة، وجميع أساتذة قسم اللغة والأدب.

سعاد

شكر وعرفان

إن الشكر لله شكرا عظيما، والحمد لله حمدا كثيرا الذي أعاننا في إنجاز هذا البحث

أسمى عبارات الشكر، والتقدير،والاحترام إلى الأستاذة المشرفة غانم رشيدة التي أنارت طريقنا ووجّهت مسارنا في إعداد هذا البحث، وأسأل الله أن يجازيها بكل خير

كما نتقدم بالشكر إلى جميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي.

الإنسان اجتماعي بطبعه فهو يعيش في مجتمع يدخل في علاقات مع أفراده ويتعامل مع الآخر، ويكوّن معه علاقات.

تعدّ ثنائية الأنا والآخر من أهم المواضيع والإشكاليات التي برزت في الساحة الأدبية خاصّة الجزائرية، حيث أولتها أهمية، فهي تمس الجانب الإنساني، كانت محّل اهتمام الفلاسفة والمفكرين منذ القديم لأنها تعبّر عن المجتمع ، وقريبة من الإنسان.

صوّر لنا الروائيون في أعمالهم الأديبة هذا الصراع القائم بين الشرق والغرب فهناك من يرى أن هذا الآخر عدو لدود، ورفع السّتار لرؤية بشاعة ونذالة المجتمع الغربي بسبب القمع والتهميش الذي مارسه، حيث رفضوه، ورفضوا كل ما يتعلّق به، أما الفئة الأخرى فهي معجبة ومنبهرة من التطورات التي توصّل إليها ذلك المجتمع الغربي، وحاولوا الاستفادة من علومه، ودعوا إلى تقليده ومحاكاته ونبذ العلاقة القائمة على الكراهية والحقد. وقد مثلت الرواية العربية المعاصرة قضية الصراع الحضاري بين الأنا (الذات العربية)، والآخر (الغربي)، حيث ظهرت روايات عديدة تمثل هذا الجانب من بينها: رواية "**موسم الهجرة إلى الشمال**" **للطيب صالح**، ورواية "**كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد**" **لواسيني الأعرج**، كذلك رواية "**وشيء آخر**" **لعبد المالك مرتاض**، التي قمنا بدراستها، وتناولناها في بحثنا هذا الموسوم ب: " **الأنا والآخر**" في رواية :" **وشيء آخر**" **لعبد الملك مرتاض**.

تناول فيها الروائي قضية المجتمع الجزائري وصوّر لنا التخلّف والفقر الذي نعاني منه، وقام بمقارنة بينه وبين البلد الغربي معتمدا في سرد أحداثه على عنصر الخيال، ومزجه بالواقع، وعوالم الإنس والجن، صوّر لنا الانبهار، وانفتاح الأنا الجزائرية على الآخر الفرنسي.

وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لأسباب هي:

- تتمثّل في أنّ الرّواية تمثل الواقع الجزائري الذي عان الويلات، وصورت لنا الوضع المزري والفقر الذي لازالت تعاني منه إلى اليوم، وذلك من خلال تصوير العلاقة بيننا نحن (الشرق) والآخر (الغرب).
- قدّم لنا الرّوائي فكرة مهمة وهي أن الأمة العربية مازالت في مكانها لم تخطوا أي خطوة نحو التّقدم فقد أصيبت بالعجز على عكس المجتمع الغربي الذي واكب العصر، ولمعالجة هذا الموضوع طرحنا جملة من الإشكاليات أهمّها:

1-هل قدم الرّوائي عبد الملك مرتاض رؤى مختلفة ومتعدّدة لهذه الجدلية(الأنا والآخر)؟

2-ماذا يقصد بالأنا والآخر؟

3-ماهي علاقة الأنا بالآخر في الرواية؟

وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا على خطة محكمة يتصدّرها مقدّمة ومدخل الذي تناولنا فيه الرواية العربية المعاصرة بالأخص الرواية الجزائرية وتطورها وإشكالية الأنا والآخر.

الفصل الأول (نظري) الموسوم ب:"السرد وإشكالية الأنا والآخر" تناولنا فيه المفاهيم النظرية حول الأنا، الآخر، الهوية. كذلك نظرة الشرق للغرب، ونظرة الآخر للأنا الشرقية، وعلاقة الشرق بالغرب.

أمّا الفصل الثاني (تطبيقي) الموسوم ب:" تجلّي صورة الأنا والآخر في رواية" **وشيء آخر لعبد الملك مرتاض**" تحدثنا فيه عن مواقف عبد المالك مرتاض من الآخر في الرواية إذ تناولنا

فيه الرؤية العدوانية، الرؤية الانبهارية، والرؤية الحضارية الإنسانية، كذلك صورة اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب، الشخصيات في الرواية، والبعد المكاني وعلاقته بقضية الأنا والهوية.

طغى على بحثنا منهجين : المنهج الوصفي والمنهج الموضوعاتي.

وقد اعتمدنا على مجموعة من الكتب التّي ساعدتنا في البحث أهمها: **سرد الآخر(الأنا والآخر عبر اللّغة السردية)** "**لصلاح صالح**"، **إشكالية الأنا والآخر(نماذج روائية)** " **لماجدة حمود**" **الهوية والسرد** "**لبول ريكور**"...الخ

وقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات من بينها: ضخامة الرواية التي تبلغ عدد صفحاتها 523 صفحة، ضيق الوقت من أجل التعمّق والغوص في أعماق البحث، قلّة الدراسات حول المدّونة الرّوائية المختارة.

أمّا في الخاتمة فقد وقفنا عند أبرز النتائج المتوصّل إليها خلال هذا البحث.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة الفاضلة غانم رشيدة التّي كانت عونا لنا وصبرها الجميل طيلة البحث، كما نتقدم كذلك بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين سيثرون البحث بملاحظاتهم القيّمة.

قبل التّطرق للحديث عن الرواية الجزائرية، وإشكالية الأنا والآخر يجب أولاً أن نقدم تعريف للرواية، فالرواية تعتبر من أهم الفنون والألوان الأدبية، فهي جنس أدبي مستحدث في الثقافة العربية، إذ تضم مختلف الأجناس الأدبية (كالنثر، المقامة، الخطب، السير) حيث تعبر عن واقع الفرد والمجتمع وتطلعاتهم، عن طريق عرض الأحداث والوقائع والأزمنة والأمكنة والشخصيات. وتلك الوقائع والأحداث يمكن أن تكون عوالمها واقعية حقيقية أو مُتخيّلة.

فالرواية تسعى إلى نقل الواقع وتجسيده عن طريق الخيال الذي يحقق عملية الإبداع ويمثل القدرة على الخلق، فبفضل الرواية أتيح للأدباء التّعبير عن شؤون المجتمع وقضاياه كما أنّ لها تأثير كبير على الفرد والمجتمع نظرًا للقضايا والمسائل التي تطرحها وتعالجها وبالتالي تعطينا دروسا ونصائح نستفيد منها في شتى المواضيع (سياسيا، اجتماعيا، ثقافيا نفسيا)، فالرواية كما عرّفها **جيرار جنيت: «عرض لحدث أو سلسلة من الأحداث الواقعية واقعية أم خيالية بواسطة اللّغة»**[1]، يعني أن الرواية مجموعة من الوقائع والأحداث تعبّر عن واقع الفرد والمجتمع عن طريق اللّغة التّي تعد شرطا أساسيا في بناء أي عمل روائي ما أضف إلى ذلك أنّها تركّز على عنصر التخيل ممزوج بالواقع الحقيقي.

[1]– جيرار جنيت، خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم –عبد الجليل الأزدي –عمر الحلي، منشورات الاختلاف، الجزائر 2000، ص 49.

وهناك من يعتبر الرواية «**أكبر الفنون عمقًا واتساعا لأن معمارها التي يشمل أساليب التعبير الشعرية والقصصية والدرامية، ويضيف إليها تصوّر المجتمع، والتعبير عن ضمير الإنسان وأشواقه ومصيره، واستيعاب التاريخ**»[1]، يتضح من خلال هذا التّعريف أنّ الرواية أكبر الألوان والأشكال الأدبية وحجمها كبير، تعبر عن القضايا والمسائل التّي يعاني منها المجتمع البشري.

فالرواية هي شكل مغلق وفي الآن نفسه عالم واسع وشاسع منفتح على الأنماط التعبيرية المتعددة والمختلفة وهي تستطيع المزج بين مختلف وجهات النظر وتقوم بتصوير العالم الدّاخلي للشخصية بشكل واسع وأيضًا لحياتها وبيئتها.

كما تعرّف الرواية أيضا على أنها« **فن أدبي مستقل له خصوصيته وذاتيته، إذ هو فن يتسع لدراسة العلاقات المتشابكة والمتشابهة داخل المجتمع، فيفرز لنا النماذج البشرية**»[2]، أي أنّ العمل الروائي لون أدبي واسع من خلاله يتمكن الروائي من معالجة القضايا العالقة في المجتمع.

فالرواية عمل نثري يتخلّله الجانب التخيلي، ينهض على أساس قصصي مادته أحداث وشخصيات هي مزيج بين الخيال والحقيقة على شكل حبكة ذات تعقيد ما فهي أهم

---

[1] – أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، مكتبة مديولي، القاهرة، مصر، د ت، ص 7.

[2] – نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني(دراسة موضوعية وفنية)، دار العلم والإيمان ، دمشق، سوريا، 2009، ص 26.

أشكال الإبداع قدرة على التوصيف والاستفادة من الأجناس الأدبية التي سبقتها (كالأسطورة والملحمة والحكاية والمقامة). كما أن الرواية تعبر عن واقع الفرد والمجتمع وتحاول الوصول والكشف عن الغامض.

أما **عبد الملك مرتاض** فقد وصف الرواية متفردة بذاتها وطويلة الحجم، وذو لغة وسيطة بين اللّغة الشعرية واللغة السوقية، وتمتاز بكثرة الشخصيات والأزمنة والأمكنة والأحداث وهي جنس ونوع أدبي مطول، إذ أنها تختلف عن كل الأجناس الأدبية الأخرى[1].

لقد قدّم النقاد والأدباء العرب والغربيين مجموعة من التعاريف للرواية ونذكر منها تعريف **محمد كامل الخطيب** قائلا: «**إنّ فرصة الكتابة نثرًا يتيح مجالاً أوسع للتعبير عن الحياة، وواقع المجتمعات لأنها تعمل على تقريب المتخيل من الواقع كما تمنح للراوي حركة أكبر لأنه يبتعد عن قيود الشعر**»[2]، يعني أنّ الرواية تفسح المجال للروائي في أن يعبر عن الوضع الاجتماعي البشري.

فالرواية تقوم بتصوير الأحداث ورسم الشخصيات والأزمنة والأمكنة بواسطة لغة نثرية التي تتيح المجال والمساحة للتعبير عن واقع الفرد والمجتمع، وذلك باستخدام الخيال الذي يفتح المجال أمام الروائي للتعمق أكثر والخوض في أعماق النّص الروائي[3].

---

[1] – ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص12.

[2] – محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة، ط1، بيروت، لبنان، 1981، ص 107.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص 107.

هذا الجنس الأدبي شكل أدبي جميل، يعتمد على لغة وهي مادته الأولى ونقطة الانطلاق، إذ نجد أن الكثير من الباحثين يعتبرونه «**بنية لغوية دالة، أو تشكيلا سرديا دالا**»[1]، يعني الرواية بنية متعلقة باللّغة السردية.

تتميز الرواية إذن بتصوير الواقع الاجتماعي والسياسي للفرد، بحيث تكون رؤية الكاتب فيها شاملة، يهدف إلى إبراز موضوعها عبر امتداد زمني معين، فهذا الشكل الروائي مجرد قالب فني يحمل وجهة نظر السارد أو الروائي اتجاه المجتمع والحياة لذلك نجد أن الروائي أثناء اشتغاله على عمل أدبي وروائي ما يقوم بتغير الأحداث والوقائع كما يريد، إذ يسعى الروائي إلى إقناع المتلقي والقارئ بإمكانية حدوث ما وقع في الرواية وأن شخصيات الرواية حقيقية واقعية، لذلك نجد أن معظم كُتّاب الرواية يلجؤن إلى الاستناد على المادة التاريخية في إقامة بنائهم الروائي، إذ يجدون فيها مواد غنية لإبداع عوالمهم الروائية.

وفي هذا الصدّد يعرف النقاد الرواية على أنّها «**قضية خيالية خيالا ذا طابع تاريخي عميق**»[2]، أي أنّ الرواية ذات طابع خيالي تاريخي.

---

[1] – ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطنينوس، منشورات عويدات، ط3، بيروت، لبنان، 1986 ص5

[2] – محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية المعاصرة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002، ص 103.

فالرواية إذن بنية شديدة التعقيد، فهي شكل أدبي جميل، إذ تعتمد على مادة أولية وهي اللّغة والخيال لتشكيل العمل الروائي، ولكن اللّغة والخيال لا يكفيان في العمل الروائي بل يجب أن يتوفر أيضا عنصر السرد بأشكاله المختلفة (الحوار، الحبكة، الأحداث، الحيز المكاني والزماني)[1].

طرحت إشكالية الأنا والآخر باعتبارها من أهم الإشكاليات والموضوعات الفلسفية والاجتماعية التي شغلت الكثير من الأدباء والمفكرين والمثقفين العرب، وبالتالي جعلوا هذه الإشكالية موضوعًا لإبداعاتهم الأدبية والفنية والتاريخية. ومن بين الروايات التي عالجت هذه الإشكالية نجد الرواية الجزائرية، إذا أعطت للأنا دورا واهتماما كبيرا.

الأنا نعني بها العرب أو الشرق، بلدان العالم الثالث، الفقر، الخوف، وأما بالنسبة للآخر الغربي فنعني به الشمال، المتطور والمثقف والمتحضر والقوي والعالم السحري.

ولعل من أهم وأبراز الروايات العربية التي تعرضت إلى جدلية الأنا والآخر نجد: رواية "**نجمة**" **لكاتب ياسين**، "**موسم الهجرة إلى الشمال**" **للطيب صالح**. فهذه الرواية (موسم الهجرة إلى الشمال) التي تحكي سيرة شاب سوداني أخذ ينتقم من الغرب (الإنجليزيات) عن طريق الجنس حيث استولى عليهنّ منتقما من خلالهن من الاستعمار بطريقة ملتوية تحمل بذور السخرية[2].

---

[1] – ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 37.

[2] – أحمد البيوري، في الرواية العربية التكون والاشتغال، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 103.

فالبطل الروائي دائما من خلال سفرياته إلى الغرب يحاول الانتقام من الغرب والشمال المستبد الظالم، ومحاولة رد الاعتبار للبلدان العربية الشرقية المقهورة والضعيفة. كما أن معظم الشخصيات الروائية تقيم علاقات مع العالم الغربي، فالغرب هو عالم يمتلك الثقافة والحضارة.

فمعظم الدراسات الأدبية والروائية العربية اهتمت بالآخر الغربي، حيث إنّ صورة الآخر وتمثيلاتها لا يمكن أن تتّضح بمعزل عن صورة "الأنا" وتمثيلاتها[1].

ونفهم من هذا القول أن الأنا والآخر لا يمكن عزلهما عن بعضهما البعض فكل واحد منهما يكمّل الآخر. لأنّ المجتمع الإنساني يتطلب ويفرض على الفرد دائما التعامل مع الغير فهما وحدتان متكاملتان في المجتمع البشري.

أخذت جدلية الأنا والآخر حيزًا كبيرًا ومهمًا في ميدان الإبداع الأدبي والبحث العلمي وذلك من خلال إبداعات وقدرات المبدعين والأدباء الذين جعلوا هذه الإشكالية موضوعًا مهما في مجال أعمالهم الأدبية والإبداعية، إذ رأو أنّ الأنا تمثل الذات العربية، والآخر الذي يرمز لحضارة وثقافة الغرب المتقدم كما أنه رمز للهيمنة العسكرية والاقتصادية والسياسية.

ومن خلال ماسبق يمكن استخلاص أن هناك تيارين في الرواية الجزائرية تيار يجسّد انتصارات الأنا الجزائرية وثقافتها، وتيار آخر يمثل إعجابا بالآخر الغربي.

---

[1] – ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر(نماذج روائية)، عالم المعرفة، الرباط ، المغرب، 2003، ص11.

إنّ الذّات العربية في حصار دائم من طرف الآخر الغربي المستعمر، وهي تقاوم وتناضل من أجل فكّ هذا الحصار.

ولقد حاولت الروايات الجزائرية أن تصوّر لنا الأوضاع ومعاناة الأنا الجزائرية إبان الاستعمار الفرنسي يعني "الآخر" و"الغير"، وبالتالي الأنا شعرت بالقمع والتهميش والإقصاء منّ طرف الآخر. فتلك الروايات التي سبق ذكرها كانت تنظر إلى الآخر نظرة سلبية لأنه عالم متكبر ويحتقر الطبقة السفلى وينظر إليها نظرة استهزاء.

رغم هذا الاختلاف والعداوة الموجودة بينهما (الأنا والآخر) إلّا أنه لا يمكن أن توجد الأنا دون الغير والعكس صحيح، فهما يتفاعلان فيها بينهما سلبًا وإيجابا، وتظل العداوة محتملة حتى في حال السلم بين الطرفين، فالأنا تنظر إلى الأخر بصفته عدوا[1] .

فوجود الأنا يقتضي وجود الآخر، فلا توجد "أنا" بدون "أنت" فهم فاعلون يشكلون العالم البشري، فكل واحد منهما لا يستطيع العيش وحده، بل يجب التكامل والاتحاد من أجل إحياء المجتمع البشري، فلا نستطيع تصوّر حياة الفرد دون وجود غيره[2] .

فالرواية الجزائرية إذن اهتمت بجدلية الأنا والآخر، وبالتالي حاولت فضح هذا الغير والآخر والعدو وذلك عن طريق تناولها لموضوع الثورة وكشف الآخر الفرنسي والأجنبي.

---

[1] – ينظر: محمد الداهي، صورة الأنا والآخر في السرد، دار رؤية، ط1، القاهرة، مصر، 2013، ص11.

[2] – ينظر: فضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي، دارسة نصية، دار عيدا، ط1، عمان، الأردن 2011، ص 33.

ومن أهم القضايا والمسائل التي عالجتها الأعمال الروائية الجزائرية مواضيع الهجرة نحو مواطن الآخر الغربي وعلى سبيل المثال نجد رواية "**أميركا**" **لربيع جابر** و"**موسم الهجرة إلى الشمال**" **للطيب صالح**.

فكل الروايات التي عالجت ثنائية وإشكالية الأنا والآخر يقابلها رد فعل (مستعمر– مستعمَر)، (التخلّف– التقدم)، (الرجل– المرأة)، (التقليد، التجديد)، وهكذا فإنّ هناك حضارتين مختلفتين، الأولى هي الحضارة الشرقية المتخلّفة تدافع عن نفسها والثانية الحضارة الغربية المتقدمة والظالمة. فجدلية الأنا والآخر مسألة وقضية انتشرت كثيرا في النصوص الروائية الجزائرية بشكل كبير.

لقد كثرت الرحلات إلى الحضارة الغربية المثقفة من طرف العربي الشرقي وذلك من أجل الكشف عن التطورات والازدهارات التي تشهدها الثقافة الغربية، وهكذا فإنّ الأنا الشرقية بحاجة إلى لقاء مع الآخر الغربي وذلك من أجل التّعرف على الضعف الذي تعاني منه الحضارة الشرقية، وبالتالي الأنا لن تكون إلا عبر الاحتكاك بالغير[1] .

وبالتالي راح الكثير من الأدباء والروائيين يكتبون عن هذا الآخر الغربي المتفوق والمزدهر المثقف، إذ أعجبوا بالعالم الغربي واندهشوا وانبهروا من التّطور والازدهار الذي تعرفه الثقافة الغربية، من خلال تصوير كيفية احتكاك العالم الشرقي العربي مع العالم

[1] – ينظر: ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص 18.

الغربي، من أجل الاستفادة منه والكشف عن التطورات التي تتمتع بها الثقافة الغربية المزدهرة.

إنّ اللقاء والاحتكاك مع الغرب يؤدي إلى فهم الذات والأنا في الوقت نفسه، فهذا اللقاء يشكل إيجابيات جمة يستفيد منها العالم العربي الشرقي ويحقق أهداف نبيلة وكثيرة[1].

إنّ الإنسان بطبعه يحب التواصل واكتشاف كنّه الآخر، والبحث عن الغامض «**أعتقد أن القضية مع الغرب ليست قضية الإسلام في ذاته، أي بما هو دين يعبر عن عقيدة معينة، ويلتزم أصحابه بشعائر محددة في حياتهم التعبدية، وإنّما هي قضية صراع بين مصالح متعارضة: أحيانا تكون في صورتها العامة بين الشمال والجنوب، أو بين دول الاستعمار الغربي وشعوب العالم الثالث، وأحيانًا بين دول إسلامية مع الولايات المتحدة**»[2] أي أنّ الإنسان يجب عليه الاحتكاك والتواصل مع الغير، سواء كان هذا الاحتكاك من أجل المصلحة أو لشيء آخر.

لذلك فالفرد لكي يعيش لابد له من التواصل والاندماج مع غيره من أجل الكشف عن المسكوت عنه والتعرف على ثقافات الغير والآخر.

---

[1] – ينظر: فايز صلاح عثامنة، السرد في رواية السيرة الذاتية العربية، دار الوراق، ط1، عمان، 2014، ص 188.

[2] – المرجع نفسه، ص 189.

وهكذا فقد تطورت وازدهرت العلاقة بين العالم الشرقي والعالم الغربي فلم تكن علاقتهما صداميه وانفصالية لأن أصول الثقافة والحضارة الغربية أساسا منبعها الشرق مهبط الرسالات[1].

فالأنا في النهاية ليست إلا هذا الأفق المنفتح على الآخر، لأنّ الوجود الإنساني إذن هو وجود مع الآخر. فلكي نقوم بإثبات ذواتنا والتخّلص من عزلتنا وتخلّفنا لابد أن نندمج مع الغير والآخر المتحضر والمتقدم.

إذن فالرواية الجزائرية جسدت لنا ثنائية وإشكالية الأنا والآخر وذلك من خلال جهود الكثير من الأدباء والمبدعين والروائيين أمثال (**كاتب ياسين، واسيني الأعرج، مولود فرعون، عبد الملك مرتاض)** . فكل واحد من هؤلاء حاول تجسيد تلك الإشكالية في مختلف أعماله الروائية والإبداعية والأدبية، ولقد حاولت الروايات الجزائرية أن تلتمس نوع من الوعي والانفتاح وذلك من خلال القضايا المتعددة التي تعالجها مثل: معالجتها للمعاناة التي لحقت بالمجتمع الجزائري إبان الاستعمار، وكذا القضية الفلسطينية، وخصوصًا القضايا المتعلقة بالأنا الشرقية والآخر الغربي .

فا"الأنا" و"الآخر" مسالة أو قضية مهمّة ومركزية في قضاياهم ومسائلهم الروائية والإبداعية، فكل واحد من هؤلاء الروائيين حاول إعطاء وجهة نظره الخاصّة اتجاه الآخر

[1] – ينظر: باديس فوغالي لجامعة الأمير عبد القادر، دراسات في القصة والرواية، علم الكتب الحديث، ط1، الأردن 2010، ص 145.

الغربي، فمنهم من أعجب وانبهر من الغرب وحاول الاحتكاك به، ومنهم من حاول انتقاد وتقديم صورة سيئة للآخر الغربي المستعمر.

المبحث الأول: مفهوم الأنا والآخر

تمهيد:

تعتبر إشكالية الأنا والآخر من أهم وأبرز الموضوعات والمسائل التّي اهتم بها العديد من المفكرين والدارسين، فقد أخذت حيزا مهما وكبيرا في ميدان الأعمال الأدبية والدراسات الحديثة.

1- مفهوم الأنا

أ- لغة:

الأنا هو«**هو ضمير المتصل الواحد وهو تعبير عن النفس الواعية لذاتها**»[1]، بمعنى أنّ الأنا تعبّر عن نفس واحدة.

- جاءت كلمة "أنا" في منجد اللّغة والأدب والعلوم أنها «**ضمير رفع للمتكلم والأنانة قولك أنا**»[2]، بمعنى تقديس الذات وإثباته.

الأنا: «**اسم للمتكلم وحده، لا تثنية له من لفظة، أما (إني) فتثنيته (أنّا)، وتشير (نحن) إلى (أنا جمعيّ) فهي تصلح في التثنية والجمع**»[3]، يعني أنّ كلمة "أنا" لا تحمل صفة التأنيث وهناك فرق بينها وبين لفظة "إني"، لأنه لديه تثنيته.

---

[1] – مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص 449 – 450.

[2]– لويس معلوف، المنجد في اللّغة والإعلام، مادة (أن)، دار المشرق والمكتبة الشرقية، ط 1، لبنان، 1993، ص 19.

[3] – السيد عمر، الأنا والآخر (من منظور قرآني)، دار الفكر، دمشق، 5008، ص 136.

الأنا :«**هو التعبير النحوي المتعدد في اتصاله وانفصال، الذي يؤكد الفعل الفردي للتلفظ في النّص**»[1].

ب- مفهوم الأنا اصطلاحا:

لقد عرّف ديكارت الأنا بقوله «**أنا أفكر إذن أنا موجود**»[2]، نفهم من هذا القول أن الإنسان موجود ما دام أنه يفكر.

كذلك «**الأنا هو الوعي وهو أساس لذاته**»[3]، أي أنّ الأنا مرتبطة بذات الإنسان.

الأنا هي «**مركز الشعور والإدراك والحلم والبصيرة، فهو أنا وأنت وكيف أتعامل وتتعامل مع الآخرين، وبالصورة التي أحافظ وتحافظ على احترامك واحترامي وقبولي لديهم، والأنا هي الأفعال الإرادية التي تشرف على الجهاز الحركي**»[4]، نفهم من هذا التعريف أنّ "الأنا" مرتبطة بالحالة الشعورية الإرادية للفرد، وتأثيرها على العلاقات بين الأشخاص.

الأنا هو «**الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية وهو دائما واحد ومطابق لنفسه، وليس من اليسر فصله عن أعراضه، ويقابل الغير والعالم**

---

[1] – عبد القادر الشاوي، الكتابة والوجود (السيرة الذاتية في المغرب)، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000، ص 164.

[2] – أحمد ياسين سليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان ، ط1، دمشق، سوريا، 2009 ص 192.

[3] – ينظر: جان بول سارتر، الكينونة والعدم (بحث في الانطولوجيا الفنومينولوجية)، تر: نقولا متيني، المنظمة العربية للترجمة بيروت، لبنان، 2009، ص 164.

[4] – بشرى كاظم الحوشان الشمري، علم نفس الشخصية، دار الفرقان، عمان، الأردن، 2007 ، ص 38 – 39.

الخارجي ويحاول فرض نفسه على الآخرين وهو أساس الحساب والمسؤولية»[1]، يتضح لنا من خلال هذا التعريف أن "الأنا" هي الذات، كما أنّ "الأنا" هي النفس ولا يمكن فصل الأنا عن أعراض الفرد البشرية.

الأنا هي «**ضمير متكلم قائم بذاته لا ينازعه أو يشاركه في ذاتيته، وبصفته آخر فهو مستقل عن غيره، وإن كان منتجا له، وناتجًا عن علاقته به»**[2]، يقصد أنّ "الأنا هي الذات المستقلة والمنعزلة عن الآخر والغير.

الأنا في الدين الإسلامي تعرف على أنه «**الأنا عبارة عن مجموعة من قيم الأصلية والمبادئ العليا التي جاء بها الدين الإسلامي، إضافة إلى التجربة التاريخية التي قام بها المسلمون على مدى تلك القيم والمبادئ.... فحينها نستخدم مصطلح "الأنا" أو الذات فإن المقصود من ذلك هو القيم المعيارية المتعالية على الزمان والمكان مع تجربة إنزال تلك القيم المعيارية المطلقة على الواقع النسبي والمتحرك والمتغير»**[3]، يعني أن الأنا عليها التصالح والاحتكاك مع الآخر.

---

[1] – إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللّغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1983، ص 23 .

[2] – أحمد ياسين سليماني، التجليات الفنية، علاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، ص 404.

[3] – سوسن البياتي، "النهضة الفكرية وأثرها في الصراع مع الآخر"، مجلة آداب االفراهيدي، العدد 3 حزيران، جامعة تكريت 2010، ص 70 – 71.

إنّ علم الاجتماع درس موضوع الأنا وعلاقته بالآخر، حيث ربط الأنا الفردية بالمحيط الذي يعيش فيه الفرد[1].

[1] – ينظر: ميخائيل إبراهيم أسعد، شخصيتي كيف أعرفها؟، دار الأفاق الجديدة، ط3، لبنان، بيروت، 2003، ص 70.

2-مفهوم الآخر

أ – لغة:

لقد وردت كلمة الآخر في لسان العرب بمعنى «**أحد الشيئين وهو اسم أفعل والآخر بمعنى غير، كقولك: رجل آخر وثوب وأصله أفعل من التأخر فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استقلنا، أبدلت الثانية ألفًا لتكونها وانفتاح الأولى قبلها**»[1]، أي أنّ كلمة الآخر تمثل الغير وقد وقع فيها بعض التغيير لسهولة نطقها.

كما وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: «**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَ - آدَامَ بالحَقّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبّلَ منْ أحَدهمَا وَلَمْ يُتَقَبّلْ منْ الآخَر قَالَ لأ قْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يتَقَبّلُ اللهُ منَ المُتَّقينَ**»[2]، أي قرّب كل منهما قربانا لله تعالى، فتقبل الله قربانا أحدهما لأنه كان من أحسن ماله، وكانت نفسه طيبة، وهو قابيل لأنه كان أرْدَا ماله، ونفسه به متعلقة، فقال لأخيه هابيل لأقتلنّك حسدا له، كما حسدتك اليهود، وحسدوا قومك في نبوتك ورسالتك - فقال له أخوه إن عدم قبول قربانك عائد إلى نفسك لا إلى غيرك إنّما يتقبل الله من المتقين.

وقوله تعالى أيضا: « **فَإِنْ عُثرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَئَاخَرَان يَقُومَان مَقَامَهُمَا منَ الَّذينَ اسْتُحقَّ عَلَيْهِمْ الأَوْلَيَان فيُقْسمَان باللَّه لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ منْ شَهَادَتهمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمنَ**

[1] – أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 2004، ص 151.

[2] – سورة المائدة، الآية12.

الظَّالمينَ »[1]، أي وأن وجد أنّ الذين حضر الوصية وحلفا على صدقهما فيها وصّاهما فيه من حضره الموت إن وجد عندهما خيانة أو كذب فيما حلفا عليه، فيقسمان بالله قائلين والله: لشهادتهما أحق من شهادتهما أي لأيماننا أصدق وأصح من أيمانهما.

تعرّف كلمة الآخر في معجم الوسيط بأنها «**أخذ الشيئين ويكون من جنس واحد**»[2].

كما جاء في معجم الصحاح «**بفتح الخاء، أحد الشيئين، وآخر يؤنث ويجمع بغير من وبغير الألف واللام وبغير الإضافة: تقول مررت برجل آخر وبرجال آخر، وآخرين وبامرأة أخرى ونسوة أخر وتصغير أخرى أخيري**»[3].

إضافة جاء في معجم النفائس «**هو الأشد تأخرًا في الذكر ثم أحرى مجرى غير، وهو خاص ما تقدمه، فلو قلت: جاءني رجل وآخر معه لم يكن الآخر إلا من جنس الرجل بغلاف "غير فإنّها تقع على المغايرة مطلقا في جنس أو صفة. والجمع آخرون، ومؤنثة أخرى، وأخرا تاج أخريات وآخر**»[4].

لقد وردت كلمة الآخر في سورة المؤمنون قوله تعالى: « **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عظَامًا فَكَسَوْنَا العظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَهُ -خَلْقًا أَخَرَا فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ**

---

[1] – سورة المائدة، الآية 105.

[2] – إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، ص 9.

[3] – الجوهري، معجم الصحاح، دار المعرفة، ط3، لبنان، 2008، ص 32 – 33.

[4] – أحمد أبو حاقة، معجم النفائس، دار النفائس، لبنان، د ت، ص 19.

الخَالقينَ »[1]، أي المنحدرة من صلب آدم أي قطعة دم جامدة تعلق بالإصبع لو حاول الإنسان أن يرفعها بإصبعه، وهي قطعة لحم قدر ما يمضغ الآكل، أي إنسانا آخر غير آدم الأب، وهكذا خلق الله عزوجل آدم وذريته.

[1] – سورة المؤمنون، الآية 13.

ب- اصطلاحا:

والآخر من الناحية الإصطلاحية «**بنية لغوية رمزية، ولاشعورية تساعد الذات على تحقيق وجودها ضمن علاقة جدلية بين الذات ومقابل لها هو من يطلق عليها (الآخر)**»[1]، يعني أنّ الآخر بنية تساهم في مساندة الأنا من أجل إثبات وجودها.

والآخر هو ذلك «**الغريب غير المألوف أو هو "غيري" بالنسبة للذات أو الثقافة ككل، بل أيضا كل ما يهدّد الوحدة والصفاء، وبهذه الخصائص امتدّ مفهوم "الغيرية" هذا إلى فضاءات مختلفة**»[2]، يتّضح من خلال هذا القول أنّ الآخر هو إنسان غير مألوف لدى الحضارة الشرقية باعتبار الآخر عالم متطور.

كما يُعرف الآخر على أنه «**الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية وتقويضها في الآن نفسه وهو يتداخل ويتمرأى في سلسلة غير منتهية، تبدأ من أدقّ الانشطارات الذاتية في علاقة الذات بالذات، عبر زمن شديد الصآلة، ولا تنتهي إلاّ بانتهاء الوجود البشري في الزمان والمكان**»[3].

والآخر عند جان بول سارتر «**الآخر هو الغير، أي الأنا الذي ليس هو أنا، ندرك إذا هنا سلبًا من حيث هو بنية مكونة الآخر ككائن، فالفرضية المسبقة المشتركة بين المثالية**

---

[1] – محمد الخيار، صورة الآخر في شعر المتنبي، نقد ثقافي، دار الفارس ، ط1، بيروت، لبنان، **2009**، ص 21.

[2] – ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الرباط، المغرب، 2002، ص 21.

[3] – صلاح صالح، سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللّغة السردية)، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2003، ص10.

والواقعية، هي أن السلب المكوّن هو سلب خارجا ني، الآخر ليس أنا، وأنا ليست هو»[1]، نفهم من هذا التعريف أنّ الآخر هو الغير وليس "الأنا".

الآخر «**ليس كائنا نصادفه فيهددنا أو يريد أن يستولي علينا. وهو إذا كان عصيًا على سلطتنا فهذا لا يعني أن يمثل سلطة أكبر من سلطتنا. إنه الأخرية التي تصنع كل سلطة. وإنّ غموضه هو الذي يكّون غيريته»**[2] .

يعتبر الآخر «**مجموع القيم والمبادئ الأساسية التي جاء بها الغرب الحضاري، إضافة إلى التجربة التاريخية التي قامت بها شعوب العالم الغربي عمومًا، انطلاقا من تلك القيم، وعملا باتجاه إنزالها في الواقع الخارجي»**[3]، إنّ الآخر هو الغرب المثقف والحضاري الذي يمتلك التجربة والسلطة.

من خلال المفاهيم التّي ذكرناها سابقا نستنتج أنّ مصطلح الأنا والآخر اختلفت تعاريفه من ناقد لآخر، ولكنهم يجتمعون في نقطة واحدة هي أنّ الأنا تعبر عن الذات الواعية، وأما الآخر هو الغير الذي يخالف الأنا ويتصادم معها.

---

[1] – جان بول سارتر، الكينونة والعدم (بحث في الأنطولوجيا الفنومينولوجية)، تر: نقولا متيني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 بيروت، لبنان، 2009، ص 322.

[2] – إيمانويل ليفيناس، الزمن والآخر، تر: منذر عياشي، دار نينوى، ط1، سوريا، دمشق، 2005، ص 60.

[3] – سوسن البياتي، "النهضة الفكرية وأثرها في الصراع مع الآخر"، مجلة آداب الفراهيدي، العدد3 حزيران، جامعة تكريت، 2010 ص 71.

المبحث الثاني: مفهوم الهوية

تمهيد:

إنّ قضية الهوية من القضايا والمسائل المطروحة كثيرا في عصرنا هذا، إذ أصبحت موضوعًا وإشكالا لدى العديد من الباحثين والمفكرين والدارسين، وبالتالي طرحوا هذه القضية في مختلف أعمالهم الأدبية والإبداعية ووضعوها ضمن أولوياتهم (الاجتماعية، الثقافية، النفسية) حيث اتسع مفهوم ومدلول الهوية، حيث كل باحث ومفكر أعطى مدلولا خاص به لموضوع الهوية وبالتالي لم يكن هناك مفهوم جامع وشامل لمصطلح الهوية بل تعدّدت مفاهيمها من دارس لآخر وهذا راجع إلى تعدد جوانبها واتساعها، «**فالمرء حين يحسّ بأنه ثمة ما يهدد وجوده، يسرع إلى تأكيد ذاته باحثا عن شيء أصيل كامن في أعماقه، يركن إليه، كي يحسّ بالثقة والأمان والقوة لمواجهة الخطر، وبذلك تتشكل الهوية في أدغال الذات، حيث تتجسد عبر انتماءات ومكونات تتعلق بالجنس والعمر والطبقة الاجتماعية والموروث الثقافي، الذي يشكل ركيزة أساسية فيها مما يجعل الآخر المعتدي يهتم بالقضاء عليها**»[1]، أي أن الفرد عندما يشعر أنه في مرحلة الخطر وتعترض طريقة مختلف المشاكل والصعوبات، حينئذ نجده يحاول تفادي تلك الصعوبات وذلك من خلال إثبات وجوده وذاته وهويته.

[1] – ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر(نماذج روائية)، عالم المعرفة، الرباط، المغرب، ط 2، 2003، ص 15.

الهوية قضية طُرحت كثيرا في الأعمال الأدبية والإبداعية من قبل مجموعة من الدارسين والمفكرين، والسبب في طرح هذه الإشكالية هو نتيجة تهديد العالم الغربي للعالم الشرقي، باعتبار الغرب بلد متحضّر ومتقدّم ويحتقر الشرق العربي المتخلّف، ولكن هذا الأخير حاول أن يواجه الغرب، ذلك من خلال إثبات هويته والتمسك بمكوناتها وخصوصياتها[1].

أ – لغة:

لقد ورد في المعجم الفلسفي مصطلح الهوية «**اسم الهوية ليس عربيا في أصله وإنّما اضطر إليه بعض المترجمين فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، وهو حرف في قولهم زيد هو حيوان أو إنسان**»[2]، ونفهم من هذا التعريف أنّ الهوية مصطلح أعجمي تمّت ترجمته عند العرب وقاموا بدراسته .

كما ورد في المعجم الفلسفي بمعنى: «**الهوية تقال بالترادف على المعنى الذي ينطلق عليه اسم الموجود، من الألفاظ المنقولة لأنّها عند الجمهور حرف وهنا اسم، ذلك ألحق بها التطرق المختص بالأسماء وهو الألف واللام واشتق منها المصدر ففي الهوية من الهوا، كما تشتق الإنسانية من الإنسان والرجولية من الرجل، وإنّما فعل ذلك بعض المترجمين لأنهم رأوا أنّها أقل تغليظا من اسم الوجود إذا كان شكله اسم مشتق**»[3].

---

[1] – ينظر : المرجع السابق، ص 13.

[2] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 529.

[3] – مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007، ص 667.

أما الشريف الجرجاني يعرفها بأنها «**الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، والهوية السارية في جميع الموجودات ما إذا أخذت حقيقة الوجود لا شرط شيء ولا يشرط لا شيء**»[1]، يتبين لنا من هذا التعريف أنّ الهوية تشمل كل العناصر المتعلقة بالأصل.

ورد في المنجد الأبجدي كلمة الهوية بمعنى «**حقيقة الشيء أو الشخص المطلق المشتملة على صفاته الجوهرية، وذلك منسوب إلى هو، نقول بطاقة الهوية وتذكرة الهوية**»[2]، نفهم من هذا التعريف أنّ الهوية هي التي تعبر عن كل الأشياء والخصوصيات الجوهرية للفرد.

ب – اصطلاحا:

هناك من يرى أن «**الهوية فيض متجدد لا يمنعه ثبات نواته عن إمكانية التفاعل مع الواقع المتغير. إنّ الهوية السردية ليست هوية ثابتة، وذلك لاتّساعها شمولا وفيضا بفعل تجارب الذات اليومية، وبذلك تظل الهوية مشروعًا يطلب دومًا التأسيس، وليس هناك نقطة يكتمل عندها إنجاز**»[3]، نفهم من هذا التعريف أنّ الهوية هي بنية متطورة ومتحولة ومتغيرة، وليست بنية ثابتة مجردة.

---

[1] – الشريف الجرجاني، التعريفات، تر: إبراهيم الأبيارى، دار الكتب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1958، ص 137 – 138.

[2] – المنجد الأبجدي، المكتبة الشرقية، دار المشرق، ط5، بيروت، لبنان، ص 1196.

[3] – بول ريكور، الهوية والسرد، تر: حاتم الورفلي، دار التنوير، بيروت، لبنان، 2009، ص 30 – 31.

وتعتبر الهوية: «**عناصر التركيب في علاقاتها الداخلية التي تعطي للكائن خصائصه الأساسية والتي تصل بالوسط الخارجي طبيعيا كان أو غير طبيعي، ومنه يتّضح أيضا أن الهوية ليست كيانًا ثابتًا ومطلقًا، وإنّما هو متغير**»[1]، فالهوية عبارة عن بنية خارجية متحولة.

كما عرف الفارابي الهوية بأنّها «**هوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك**»[2]، فالهوية تعتبر شيء يخص الفرد والجماعة الإنسانية، فمن خلال الهوية الفرد يتمكن من إثبات وجوده وذاته.

يرى محمد عابد الجابري بأن الهوية «**كيان يصير، وليس معطى جاهزا ونهائيا، هي تصير إما في اتجاه الانكماش، وإما في اتجاه الانتشار، وهي تعتني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا، احتكاكها سلبًا وإيجابًا مع الهويات الثقافية الأخرى**»[3]، يتضح لنا من خلال هذا التعريف أنّ الهوية بنية متواصلة وصيرورة دائمة، تتطور وتتحول مع الأوضاع والأحداث.

---

[1] – رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية المعاصرة، دار الشروق، ط1، عمان، الأردن، ط 1، 2003، ص 215.

[2] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص 530.

[3] – الطاهر جاووت، "السرد وتشكل الهوية (قراءات في الرواية البحث عن العظام)"، مجلة المخبر، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، العدد 13، جامعة بسكرة (الجزائر)، 2017، ص 88.

كما يعرف المفكر العربي محمد عمارة الهوية قائلا «**الهوية تعني جوهر الشيء وحقيقته فهوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة هي جوهرها وحقيقتها.....(و) هوية الشيء، هي ثوابته التي لا تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة**»[1]، نفهم من هذا التعريف الذي قدمه محمد عمارة أنّ الهوية بنية ثابتة وليست بنية متجددة ومتحولة.

لأنّ «**الهوية هي كيان يتشكل –أو يشكّل– في مجرى التاريخ، وبذلك تكون عرضه –كأي حدث تاريخي– للتغير والتقلّب والتحوّل والانقطاع**»[2]، من خلال هذا التعريف يتّضح لنا أن الهوية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعامل التاريخي.

[1] – الطاهر جاووت، السرد وتشكل الهوية، ص 87.

[2] – نادر كاظم، الهوية والسرد، دراسات في النظرية والنقد الثقافي، دار الفراشة، ط2، الكويت، 2016، ص 139.

المبحث الثالث: صورة اللّقاء الحضاري بين الشرق والغرب

أ- نظرة الشرق إلى الغرب:

إن العلاقة القائمة بين الشرق والغرب علاقة تواصل وتصادم في نفس الوقت، حيث أنها لم تنقطع على مرّ العصور، وقد اتّصلا ببعضها البعض من خلال عدّة مجالات، بالرّغم من هذا الاتصال إلاّ أن العلاقة بينهما علاقة صراع ونزاع ومازلنا إلى يومنا هذا تحت هذا النزاع، وأصبح هذا الأخير من أهم القضايا التي شغلت الكثير من الدارسين، وجعلوا من هذه المسألة موضوعًا مهما في أعمالهم الإبداعية، وبحكم أن الإنسان العربي محتك بالآخر فقد تكوّنت لديه عدّة رؤى مختلفة ومتباينة عنه. «**إن الأنا عندما توضع في موضع لقاء أو مواجهة مع الآخر فإن كلاهما يشكل نظرة ما عن الآخر، قد تكون نظرة حب، أو ازدراء، أو كراهية.... ومهما تكن طبيعة هذه النظرة، فهي تحوّلها إلى موضوع قابل للتأمل، فلولا أن الآخر يرى الأنا وينظر إليها لظل شيئًا بين الأشياء، لا يمتاز عنها في شيء ولكنه بنظرته إليها يبعدها عن شيئيتها ويدخلها إلى عالمه كموضوع للتأمل**»[1]، يعني أنّ الأنا لديها عدّة مواقف ورؤى اتجاه الآخر الغربي.

كوّن اللّقاء بين الشرق والغرب مواقف ورؤى عديدة مختلفة قسّمها المفكرين العرب إلى:

[1] – ينظر: فؤاد كامل الغيزني، فلسفة ساتر، دار المعارف، مصر، القاهرة، د ت، ص 34.

1- موقف الإعجاب بالآخر:

إنّ الشرق تنظر إلى الآخر الغربي نظرة اندهاش وإعجاب لما وصل إليه من التقدم والتطور في مختلف المجالات والميادين.فمعروف أنه " **ومنذ بدايات القرن التاسع عشر بدأت تنتشر صورة معينة عن أوربا الليبرالية في جل البلدان الإسلامية.اكتشاف هذه الصورة يرجع إلى كون النخبة العربية نظرت إلى أوربا بوصفها نموذجا حضاريا يجسد القوة والعلم والحرية. ولأنّ هذا النموذج يجمل هذه الخصائص الإيجابية في ذاتها، فإنه يتعين استلهام أسباب هذه القوة وإجراء الإصلاحات الضرورية الكفيلة بتجاوز التأخر التاريخي الذي تتخبط فيه البلدان العربية الإسلامية**"[1]، يتضح لنا من خلال هذا القول أنّ العرب(الشرق) قد أعجبت من الحضارة الغربية لأنّها تتمتع بالكثير من الثقافة والعلم والتحضر.

فمن خلال هذا التّطور والتقدم الذي وصل إليه المجتمع الغربي، يجب على الإنسان الشرقي أن يستفيد منه ويقيم علاقة معه وتوطيدها، فهو بمثابة اليد التي تمد المساعدة للخروج من هذا التخلّف الذي تعيشه، والنهوض منه جديد من أجل تكوين ذاتها ." **فالعربي إذن يدرك ويعي الاختلاف والتباين الكبير بينه وبين الغربي ، فالعربي ذو عقلية بسيطة متخلّفة، بدائية، نشأ**

[1]- نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس، ط1، بيروت، لبنان، 2013، ص 52 .

نشأة محافظة وتقليدية، أمّا الغربي فهو ذو عقلية متقدمة متحررة"[1]، أي أنّ هناك اختلاف كبير وواضح بين الإنسان العربي والغربي، وهذا الأخير الذي تمثل السلطة والتّفوق على الأنا الشرقية فهو متحرر على عكس الرجل الشرقي المنغلق والمتخلّف.

2 – الموقف العدواني:

هناك فئة أخرى تعادي وتعاكس الموقف الأول، فهي ترى أن الآخر هو العدو اللدود المدمرّ للثقافة العربية، باعتبار هذه الأخيرة قد عانت القهر، والتهميش، أصبحت نظرتهم يشوبها الحقد والكراهية فهما عدوان تاريخيان، من غير الممكن التعايش مع بعضهما البعض في إطار علاقة إنسانية وحضارية.«**الإنسان الشرقي ينطلق من موقفه العدائي من الغرب من عدّة حجج وتبريرات من بينها: الطبيعة العدوانية للغرب ممثلة بالغزوات والحملات العسكرية المتكررة ضد الشرق منذ عصر الإمبراطوريات القديمة مرورًا بحملان الفرنجة في العصور الوسطى، إنتهاءًا بالإحتلالات الغربية المعاصرة للوطن العربي والعديد من دول الشرق**»[2]، يتضح من هذا القول أنّ العدائية التي يكنّها الرجل العربي كانت منذ زمن بعيد بسبب الاحتلال التي قام بها الغرب، حيث حاول أن يطمس هوية الغربي وتهميشها بمختلف الوسائل القمعية، ومازال الحال إلى يومنا، لكن

1- إيمان صالح ، جدلية العلاقة بين الشرق والغرب وهاجس الخوف المتبادل ، مقال من الإنترنت

17-5-2008 , http// www.alwatan.com

[2] – المقال نفسه

الآن بطريقة غير مباشرة إذن فالشرق والغرب عدوان تاريخيان، حيث يسعى المجتمع الغربي إلى تدمير الشرق ومحاولة السيطرة عليه.

فالعلاقة العدائية التي تجمع الشرق بالغرب كانت نتيجة العوامل التاريخية . يقول **عبد محمد بركو" عملت العوامل التاريخية الآنفة الذكر على استفحال ظاهرة الخوف والنفور من الغرب وساهم ذلك بظهور الحركات الكارهة للغرب، المنادية بمقاومته في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وسواها"**[1]، يعني أنّ الشرق بسبب العوامل التاريخية نشأت في نفسيتها مشاعر الخوف والارتباك من العالم الغربي وبالتالي نرى أنّ الشرق ابتعدت منه ونظرت إليه نظرة رفض وعداء.

إنّ الأنا لم تبقى مكتوفة الأيدي فقط، بل لم تسمح لذلك الآخر أن يسيطر عليها، فهي قاومته وحاولت تكوين نفسها وهويتها من أجل التصدّي لذلك الآخر، الذي حاول التقليل من قيمته بشتى الطرق، فأصبح الغير بمثابة الوحش المدّمر الذي لا يعرف الرحمة.

أصبحت العلاقة بينهما علاقة صراع لا نهاية له، فالكل يحاول أن يفرض سيطرته على الآخر، والقوي يحاول أكل الضعيف لا يمكنهما أن يلتقيان، فهما بمثابة الإيجابي والسلبي, وكل منهما يحمل الحقد للأخر.

[1]- نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، ص 56 .

3 – الموقف المعتدل والحيادي:

بمعنى أن أصحاب هذا الاتّجاه ينظرون إلى الغرب نظرة متوازية فهم لا يحملون الكره ولا الإعجاب، صحيح أن الغرب يحاول أن يطمس الهوية العربية من جهة، لكن من جهة أخرى فقد جاء بالعلم والمعرفة والثقافة.

هذا الموقف يمكن وصفه بالموقف الموضوعي أو العقلاني لأنه " **هو الذي يعترف بوجود الآخر، والأهم بتقدم الآخر، كما يروي شره وسلبياته، وعليه لا يرى من بأس، إن لم يكن من الضروري الاتصال به والاستجابة له، مع السعي لتجنب سلبياته وضرر الاتصال به والاستجابة له، وإن لم يصاحب مثل هكذا موقف حماسة لذلك الآخر، وهو ما يختلف فيه عن الموقفين المتحمس والمعادي له**"[1]، يتضح لنا من هذا القول أنّ الموقف المعتدل والحيادي هو موقف موازي يعني أنّه يعترف بايجابيات وسلبيات البلد الغربي في الآن نفسه، كما أنّه موقف يعترف بخير الغرب وبشره.

وفي الأخير يمكننا القول بأن الأمة العربية لا يجب أن تكون منغلقة كثيرًا على نفسها فتمنع تيار التطور أن تتسرب إليها من جهة، فتصبح جامدة متحجرة من جهة أخرى ولا يجب أن تنفتح كثيرًا لدرجة أن تسمح لهذا الاحتكاك أن يفقدها شخصيتها، بالتالي تتخلى عن هويتها، ضعيفة سهلة التمزيق والتشتيت، فتصبح غير متماسكة، وفريسة سهلة.

---

[1]- نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، ص 58 .

إذن الانفتاح، وعدم التخلّي عن الموروث العربي القديم يجعلان من الأمة العربية دولة قوية صعبة المنال.

ب – نظرة الغرب إلى الشرق:

جاء عصر النهضة وجاء معه العلم والتطور في مختلف الميادين، وعرف تغيرات حضارية كبرى عند الأوروبيين، واختلف القطب الغربي اختلافا كبيرًا عن القطب الشرقي، لأن هذا الأخير لم يحظ بهذا القدر من التطور، بالتالي أصبحت نظرة الآخر نظرة يسودها التكبّر والاستعلاء حيث يعتبر الرجل الشرقي رجل متخلّف، وحشي، كائن ضعيف، فلا مكانة له في هذا العالم والعلاقة التي تجمعهما هي علاقة صراع ونزاع منذ القديم.

درس **إدوارد سعيد** هذه الفكرة في كتابه الاستشراق وحاول تقديم رأيه، وقد أعرب **كرومر وبلفور** عن أفكارهما، وتقديم نظرية وحجة يسهل فهمها فهي تقول بوجود جانبين : "**الغربيون والشرقيون، فالجانب الأول يسيطر، والثاني لا بد من السيطرة عليه، وهذه تعني في العادة احتلال أراضيه، والتحكم بصرامة في شؤونه الداخلية ووضع دمه وماله تحت تصرف دولة غربية ما**"[1]، أي أنّ العالم انقسم إلى جانبين، فالأول هو القوي (الغرب) والثاني هو الضعيف(الشرق) الذي تمّ احتلاله وغزوه في كل الميادين.

[1] – إدوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، تر: د.محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2006 ص 90 – 91.

قدّم **بلفور** رأيه عن الشرق إذ يقول إدوارد سعيد: «**الشرقيون عند بلفور هم الأجناس المحكومة عند كرومر وهم الذين جعلهم موضوع مقال طويل نشرة في مجلة إدنبره ريقيو في يناير 1908، وهنا نرى من جديد أن المعرفة بالأجناس المحكومة أو بالشرقيين هي التي تجعل إدارة شؤونهم يسيرة ومربحة، فالمعرفة تأتي بالسلطة، وزيادة السلطة تتطلب زيادة المعرفة**»[1] بمعنى أن المجتمع الشرقي هو مجرّد جنس محكوم، تمّت السيطرة عليه وقد حاول الغرب أن يدرسوا الشرق ليس من أجل الدراسة فقط بل من أجل أن يتعرفوا عليه ومحاولة امتلاكه والاستحواذ عليه، لأن المعرفة تساعد في القوة، وتساهم في استعماره بشكل أسهل، لأن الشرق بنظرهم كائن ضعيف، يحتاج إلى من يحكمه، ويصدر أوامره عليه، وإدارة شؤونهم. وكلما زادت معرفتهم عليه زادت قوتهم، وعرفوا نقاط ضعفهم أصبحت السيطرة عليه شيء سهل وبسيط. حيث حاولوا معرفة أحوال الشرقيين، وشخصيتهم، وثقافتهم، وتاريخهم، وتقاليدهم، حيث «**بيّن كرومر أن الشرقيين أو العرب يسهل خداعهم، وأنهم يفتقرون إلى النّشاط وروح المبادرة، مولعون بالإفراط في المدح والملق... والقسوة على الحيوان، ويقول أن الشرقيين لا يستطيعون المشي في الشارع أو على رصيف لأن أذهانهم الفوضوية تعجز عن فهم ما يدركه الأوروبي الذكي على الفور وهو أنّ الشوارع والأرصفة قد جُعلت للمشي، ويقول إن الكذب متأصل في الشرقيين، كما إنهم كسالى ويستريبون بغيرهم وفي كل شيء يمثلون عكس صفات الوضوح والمباشرة والنُبل**

[1] – المرجع السابق، ص 91.

التي يتحلى بها الجنس الأنجلوسكسوني»[1]، من خلال هذا القول نستنتج ونؤكد بأن الغرب ينظرون إلى الشرق نظرة استهزاء وحقد، وأن الرجل الشرقي يختلف تماما عن الرجل الغربي، لا يعرف كيف يمشي على الرصيف، أي أنهم مازا لو منغلقين، لم تصلهم الحضارة، يتميزون بالكذب، والكسل والخمول، على عكس المجتمع الغربي الذي يتميز بالنُبل والوضوح، مجتمع عريق، يسوده النظام والتفاهم وهو ضد الشرق.

العالم الشرقي عُرف بأنه عالم متخلّف يسوده الجهل والفقر، وهذا ما جعل الغرب (الآخر) يستغل الفرصة، ومحاولة إصدار الأوامر عليه لأنه القوي، وكانت هذه دائما نظرة الآخر للأنا الشرقية، خاصة وأن الآخر بما وصل إليه من تقدم ورقي في مختلف ميادين الحياة السياسية والاقتصادية، والعلمية والثقافية فهو يستحق التقدير والإعجاب، وهو على عكس الشرق الذي لم يعرف التطور، مازال في ركود وخمول، له نظرة سلبية اتجاه الأنا.

يرى **بلفور وكرومر** أنّ: « **الشرقي غير عقلاني، وفاسد، ومختلف، ومن ثم فإن الأوروبي عقلاني، وناضج، وسوي، ولكن وسيلة إحياء العلاقة لم تكن تتغير، فكانت دائمًا ما تؤكّد أن الشرقي يعيش في عالم خاص به، وقد يكون هذا العالم مختلفا لكنه يخضع لتنظيم محكم، فله حدوده القومية والثقافية والمعرفية، ومبادئ الاتساق الداخلي»**[2]، بمعنى أنّ بالرغم من كل السلبيات التي نظر إليها الغرب (الآخر) إلى الشرق (الأنا) وكونه فاسد، متخلّف غير عقلاني إلاّ

[1] – المرجع السابق، 95.

[2] – المرجع نفسه، ص 96.

أن العالم الشرقي له إيجابياته الخاصّة، بالرغم من أنه عالم مختلف عن الغرب لكن له نظام خاص به محكم، وله مبادئه الخاصّة التي يسير عليها. ربما هذا ما جعل الغرب محاولة الاستحواذ والسيطرة عليه، فقد أعجب به وأراد أن يشاركه عالمه، وذلك العالم البسيط المختلف له عاداته وتقاليده، ومبادئه التي تختلف تمامًا عن العالم الغربي، وهنا نجد إعجاب الغربي (الآخر) بالشرق وقد حاول امتلاكه، وامتلاك أراضيه التي أراد السيطرة عليها، لكنه ينظر إلى المسلم باحتقار وازدراء فهو لا يستحق العيش على هذه الأرض، بل الزوال الشامل له ولدينه.

لقد تغيّرت نظرة الغرب للشرق مع بداية عصر النهضة «**ويلاحظ أيضا أن النظرة الغربية الضيقة للشرقي، بدأت تخف حدّتها في عصر العولمة، إذ باتت وسائل المعرفة متاحة للجميع بفضل سهولة الاتصال بين أرجاء العالم حيث نجد اليوم كثيرًا من شباب الغربي، يغامر بالسفر إلى الشرق، ليعيش ثقافة، وتفاصيل حياته اليومية بعيدًا عن النظرة الوهمية القرائية التي حملت آباءه وأجداده عن الشرق ساعيًا إلى التّعرف عليه بعيدًا عن الصورة الوهمية التخييلية التي نشأ عليه، ممّا يسهم في إزالة سوء التفاهم وثقافة الكراهية بين الشرق والغرب**»[1]، مع تقدم العلم والمعرفة تغيّرت نظرة الغرب إلى الشرق، فلم تصبح تلك النظرة السلبية الاستعلائية، أو ذلك الحقد والكره، بل على العكس فقد أصبح هناك اتصال بين العالمين (الشرقي والغربي) وكل منهما يحاول معرفة الآخر، وتكوين صداقة بينهما، وفك النزاع الذي كان بينهما منذ زمن طويل، وإزالة

[1] – ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص 23.

الكراهية والحقد بين الشرق والغرب، وذلك من خلال معرفة ثقافات بعضها البعض وتفاصيل الحياة التي يعيشونها.

وبناءًا على ما سبق نخلص إلى أن نظرة الآخر إلى الأنا تختلف، صحيح أن هناك نظرة سلبية للشرق (الأنا)، لكن هذا لا يعنى أن هناك إيجابيات، ومع التقدّم الذي حصل في مختلف الميادين زال الحقد والكراهية، حيث أصبح هناك تواصل بينهما وحوار حضاري بعيد عن السلطة وجعل الفكر العربي والغربي يتقبلان بعضهما البعض.

ج- علاقة الشرق (الأنا) بالغرب (الآخر):

منذ فجر النهضة العربية ظلت إشكالية العلاقة بين الشرق (الأنا) والغرب (الآخر) من أهم الموضوعات والإشكاليات الفلسفية والسياسية التي شغلت الكثير من الأدباء والمفكرين والمثقفين العرب، وبالتالي جعلوا هذه الجدلية موضوعا لإبداعاتهم الأدبية والفنية والتاريخية والفلسفية. ومن خلال هذه الثنائية (الأنا والآخر) تمظهرت مايسمى بالعلاقة بين الشرق والغرب. والسؤال الذي يطرح نفسه باستمرار ماشكل العلاقة القائمة بينهما هل هي علاقة تواصل وتكامل أم علاقة تنافر وصراع؟

لقد حضت العلاقة بين الأنا الشرقية أو الآخر الغربي بأهمية كبيرة جدّا في الدراسات النقدية المعاصرة وخصوصا في الأعمال الروائية، باعتبارها من أقدر الفنون على تقديم تفاصيل الحياة والكشف عن الحقائق أمام القارئ والمتلقي لفهم الذات والغير معًا. فمن خلال الرواية كل

الأشياء الغامضة والمخفية في دواخلنا وأعماقنا تحاول الوصول إليها والتعمق فيها كما تطرح إشكاليات تعانيها الأنا في مواجهة الغير[1].

فمعظم الدراسات الأدبية والروائية وخصوصا العربية اهتمت بالآخر(الغرب) من خلال تشابكات علاقته "بالأنا"، إذ صورة الآخر وتمثيلاها، لا يمكن أن تتّضح بمعزل عن صورة "الأنا" وتمثيلاتها[2]، نفهم من هذا الكلام أنه لا يمكن الحديث عن "الأنا" بمعزل عن "الغير"، فكل واحد منهما يكمل الآخر، لأن المجتمع الإنساني يتطلب ويفرض على الفرد دائما التعامل مع الغير.

وهكذا فإنّ الشرق (الأنا) والغرب (الآخر) بحاجة إلى لقاء مع بعض وذلك من أجل الكشف والتعرف على الضعف الذي تعاني منه الشرق، وبالتالي الشرق تحاول الاندفاع إلى التغير، كما أنّها تحاول الاستفادة من معارف وقدرات الغرب الأجنبي، فمعرفة "الأنا" (الشرق) لن تكون إلاّ عبر الاحتكاك والاندماج مع الغير (الغرب)[3].

فالأنا الشرقية يجب عليها الاندماج مع الغرب لغرض التبادل الثقافي والتعلم والتحضر والتعرف على كل الإنجازات والاختراعات التي وصل إليها العالم الغربي[4].

---

[1] – ينظر: ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص 14.

[2] – المرجع نفسه، ص 11.

[3] – ينظر: ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص 18.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

إنّ اللقاء بين الشرق والغرب ولّد ما يسمى بالحوار الثقافي والحضاري، وبالتالي الغرب أنتج الكثير من النظريات والمناهج الأدبية والتطورات العلمية، فكل هذه الانجازات التي تزخر بها الثقافة الغربية استفادت منها الثقافة الشرقية وولد ما يسمى بالتفاعل والاندماج مع الآخر الغربي[1] .

فالإنسان العربي والمشرقي دائما يحاول السفر والهجرة وذلك لغرض تحقيق كل حاجياته وطموحاته، فهو يسافر إلى الغرب الأوروبي، باعتبار هذا الآخر يمتلك الخبرة وكل متطلبات الحياة و بالتالي حدث مايسمى بالتفاعل والاندماج بين الغرب والشرق. فالتواصل واللقاء بين الحضارتين الشرقية والغربية وتبادل الأفكار والموضوعات ضروري من أجل التحضر والسير قدمًا[2].

يُعرف الشرق على أنّه:« **مجموعة من الأقطار المنشورة في آسيا وبعض الأقطار في أفريقيا مما يطل على حوض البحر الأبيض المتوسط، وبعض أجزاء من أوروبا الشرقية**»[3]

نفهم من هذا التعريف أنّ الشرق يظم عدّة بلدان.

وأما فيما يخص الغرب هي «**تلك الشعوب التي شاركت في الحروب الصليبية، والتي تعرف حاليًا باسم بريطانيا، هولندا، بلجيكا، فرنسا، ألمانيا، إسبانيا، والبرتغال**»[4].

---

[1] – ينظر: فايز صلاح عثمانة، السرد في رواية السيرة الذاتية العربية، مؤسسة الوراق، ط1، عمان، الأردن، 2014، ص 19.

[2] – ينظر، المرجع نفسه ، ص 188.

[3] – باديس فوغالي، دراسات في القصة والرواية، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2010، ص 146.

[4] – المرجع نفسه، ص 147.

فلقد كانت العلاقة بين الشرق (الأنا) والغرب (الآخر) قائمة على الصراع والتصادم، وكل واحدة منها تريد فرض هيمنتها بمختلف الأساليب والأشكال، لكن سرعان ما تغير الوضع وذلك من خلال الجهود التي بذلها الغرب تجاه الشرق في محاولة إصلاح ذلك الخلاف والوضع ونتج ما يسمى بالحوار الحضاري بين الشرق والغرب[1].

فالإنسان بطبعه يجب عليه الاندماج والتواصل مع الآخر، فوجود "الأنا" يقتضي وجود الآخر فلا توجد "أنا" بدون "أنت" فهم فاعلون يشكلون العالم البشري، ولا يستطيع واحد منهما العيش بمفرده، بل يجب التكامل والإتّحاد من أجل إحياء المجتمع البشري، فلا نستطيع تصور حياة الفرد دون وجود غيره[2] .

[1] – ينظر: المرجع السابق ، ص147 .

[2] – ينظر فاضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخر الشعر الأموي (دراسة نصية)، دار عيداء، ط1، عمان، الأردن، 2011، ص 33.

المبحث الأول: مواقف عبد الملك مرتاض من الآخر الغربي

أ – الرؤية الانبهارية:

لقد أثّر العالم الغربي (الآخر) على الأنا أدبيا وفكريا، بالإضافة إلى أنّه ساهم في تقريب العالم الشرقي إليه باعتباره العالم المثالي الذي يملك السلطة والثقافة والعلم. وبالتالي الثقافة العربية الشرقية حاولت الاحتكاك والاندماج مع ذلك الآخر والانبهار به. لذلك نجد أن الشرقيون يهاجرون إلى البلاد الأوروبية (الغرب) من أجل اكتشاف العوالم التي تزخر بها الثقافة الغربية والاهتمام بها وينصهرون في معطياته تاركين ماضيهم وراءهم والاندماج في حضارتهم وثقافتهم[1].

تحدّث الروائي في روايته "**وشيء آخر**"عن انبهاره بالعالم الغربي من خلال الشاب الجزائري الذي سافر إلى فرنسا، من أجل اكتشاف ذلك العالم المزهر، واكتشاف الضعف والفراغ الذي يعاني منه بلده، وذلك بسبب تعرضها للاستعمار الذي يعدُّ سببا لتخلّفها.

لقد قدّم الروائي نظرته لذلك الآخر وانبهر منه من خلال روايته "وشيء آخر"، وأعطى رأيه الخاص عن ما رآه، فقد وصف لنا جزء من الغرب وهو القطار، الذي عبر عنه بألفاظ عديدة معجَبًا ومتعجبًا بهذا الاختراع، فهو يختلف تمامًا عن قطارنا الذي يعتبره مجرد خردة تزعج النّاس بصفيرها.

---

[1] – ينظر: علي بن إبراهيم النملة، الشرق والغرب (منطلقات العلاقات ومحدّداتها)، دار بيسان، ط3، بيروت، لبنان، 2010، ص 46.

فالقطار الغربي يعتبره كالرّعد في السرعة حيث شبهه بالطائرة التي تسير وهي كناية عن السرعة ويظهر ذلك في قوله: «**كان ينهب الطريق نهبًا سريعا. كان طائرة تسير، بل كان قطارًا يطير**»[1]، يعني أنّ الروائي اعترف بتقدّم الآخر لامتلاكه وسائل حديثة.

وصف الروائي القطار الغربي بالقوة والعنفوان والاندفاع والسير قدمًا، وبالإضافة وصف لنا نوافذه ومقاعده إذ يقول «**قطاركم مقاعد وثيرة، ونوافذ نظيفة، ومرافق أنيقة**»[2].

وأما فيما يخص القطار العربي الشرقي فقد نظر إليه نظرة سلبية واستهزائية، فوصف ذلك القطار بالعجز في قوله «**مسكين قطاركم إذ يلهث من تقادمه وبلاه لهثًا... كان عاجزا عن الركض في السهول والهضاب**»[3]، كما وصف صوت قطارهم بصوت الشيخ الكبير والعجوز«**كنت تسمع شيخا يتلو "بسم اللّه مُجراها ومُرْسَاهَا"**»[4].

في هذه الرواية التّي نحن في صدد دراستها استخلصنا عدّة معاني ودلالات تؤكد أنّ الروائي انبهر وأعجب بالغرب . فالرّواية كما ذكرنا سابقا تتحدث عن شاب جزائري مثقف وناجح ويمتلك الخبرة والموهبة، وهذا ما سمح له بالهجرة والسفر لإكمال مساره ومشواره الجامعي في فرنسا.

---

[1] – عبد الملك مرتاض، وشيء آخر...، تجريب في نمنمة اللّغة، وعجائبية الحدث، دار القدس العربي، ط1، وهران، 2018، ص 3.

[2] – المصدر نفسه، ص 8.

[3] – المصدر نفسه، ص 4.

[4] – المصدر نفسه، ص 6.

هذا الشاب الجزائري سمحت له موهبته في دراسة تلك الآداب الفرنسية والتعمق فيها حتى أصبح طالبًا ناجحًا ومثقفا ويظهر ذلك في قوله «**ولا سيما حين التحقت بإحدى كليات الآداب في فرنسا. هنالك وجدت العقل يتجلى في أرقى مراقيه، كما وجدت حرية التعبير بلغت حدودها القصوى**»[1] نفهم من هذا الكلام أن فرنسا بلد متحضّر تعم فيه الثقافة. كما أنّ سكان فرنسا يعيشون أحرارا دون التعدي على غيرهم ويظهر ذلك في قوله«**كلّ حُرّ في ترتيب عقله بشرط أن لا يؤذي سوءاه ولا يعترض عليه شيئًا. الناس هنا أحرار في تفكيرهم**»[2].

إذن فالشاب الجزائري انبهر واندهش من الحضارة والثقافة الغربية نظرًا لتمتعها بشتى العلوم والفنون ومختلف الآداب والعلوم والاختراعات التّي كانت غائبة في مجتمعه، ولهذا حاول الهجرة لغرض التعرف على الضعف الذي يعاني منه مجتمعه ومحاولة الاندماج والتواصل مع الثقافة الغربية والاستفادة من معارفها وعلومها.

انبهر هذا الشاب لما رآه عند الغربيين عند سفره وهجرته إلى فرنسا، والشيء الذي لاحظه **كريم** هو الأخلاق التي يتمتّع بها سكان فرنسا، كل واحد منهم يعيش حرًا ولا يتعدى على غيره ولا يزعجه. كما لاحظ أنّ هناك فوارق كثيرة بين الحضارتين (الشرقية والغربية)، سواء في طريقة عيشهم أو طريقة لبسهم وأكلهم، والعادات والتقاليد، إذن هناك فرق شاسع بين الشرق والغرب ويظهر ذلك في الرواية عند قول الروائي «**الفتاة الغربيّة إذا بلغت السادسة عشرة وظلّت عذراء**

[1] – رواية وشيء آخر، ص 382.

[2] – المصدر نفسه، ص 383.

عُدّت ذلك مهانة ومنكرًا»[1]، إذن نفهم أن المرأة الغربية تملك نوعًا من الحرية المطلقة على عكس المرأة الشرقية فهي تملك كذلك الحرية ولكن لديها حدود، فهي تتزوج إلاّ بمن ترضى به وفي سن تريده.

إنّ هذه الرؤية الإنبهارية التي تمثّلت في الرواية الجزائرية كشفت لنا مدى الازدهار والرقي الذي وصل إليه الغرب، ولهذا نجد أن الشرقيون يحاولون التواصل معهم والاستفادة منهم وذلك عن طريق السفر والهجرة، للكشف عن سبل التقدم والرقي الموجود عند الغرب. فالأنا العربية الشرقية تشعر بالضعف والهزيمة ولذلك حاولت الهجرة من أجل إثبات ذاتها ووجودها وكيانها والبحث عن الذات المستلبة. ولكن من جهة أخرى الأنا الشرقية العربية وجدت نفسها أمام امتحان صعب، لأنّ ذلك الآخر الغربي يمتلك عادات وقيم وأصول تختلف تمامًا عن عاداتنا (دينيا، ثقافيا اجتماعيا.....). فرغم انبهار الأنا الشرقية من الآخر الغربي إلاّ أنّها واصلت وحاولت إعادة الاعتبار للذات والهوية التي ضاعت.

وقد لاحظ **كريم** انتشار المطالعة في البلد الفرنسي، فهم يعشقون المطالعة والقراءة ويظهر ذلك في قوله «**الصمت المطلق في هذا القطار. كان حديثهم القراءة وحدها. كأنّ هؤلاء النّاس كانوا خرسى. القراءة عندهم كشف وعشق ولذّة عظمى»**[2]، ولهذا انبهر **كريم** كثيرا من سكان

[1] – رواية وشيء آخر، ص 397_ 398.

[2] – المصدر نفسه، ص 403.

الغرب لأنّهم يحبون المطالعة والقراءة على عكس مجتمعه أين تكاد تغيب المطالعة إلاّ فئة قليلة جدًّا.

إذن فالميزة التي يتميز بها المجتمع الغربي هي ميزة القراءة والمطالعة في قول الروائي «**بل كلّ منهم كان يمسك بكتاب أو مجلّة أو جريدة وهو يقرأ. ويقرأ لا يتوقّف عن القراءة. كأنّ أولئك القوم لم يخلقوا للثرثرة والتعاليق السخيفة على المشاهد والأحداث. بل كأنّهم لم يخلقوا إلاّ للقراءة وحدها**»[1].

نفهم ممّا سبق أنه ثمّة فرق كبير بين الشرق والغرب في كل المجالات والعلوم والفنون لأنّ الغرب بلد مثقف ومتفّوق على الشرق، ويحب القراءة والمطالعة ويعني هذا أنّه محب للعلم والثقافة. على عكس البلد الشرقي هو بلد أميّ لايحبون المطالعة والقراءة. إذن فالشاب الجزائري انبهر كثيرًا من سكان فرنسا لأنهم يحبون ويعشقون القراءة والعلم سواء كان (صبيا أو طفلا أو شيخًا..).

ومن الملاحظ أيضا في الثقافة الغربية أنّ النساء لا يرتدين الحجاب فهنّ شبه عاريات وهذا ما لا نجده في الثقافة الشرقية، لذلك نرى أن **كريم** انبهر من ذلك في قوله «**وهنّ شبه عاريات. وهي عادة الفتيان والفتيات... فالمتنزهون في المروج يحيّون الرّكب بإشارات القبل برسمها على الشفاه...**»[2]، إذن كريم انبهر واندهش من القيم والعادات والأصول الغربية، فمثلا الرجل الغربي لا

[1] – رواية وشيء آخر، ص 405.

[2] – المصدر نفسه، ص411.

يقدر المرأة ويعتبرها بضاعة رخيصة، على عكس الرجل الشرقي فقد أعطى أهمية كبيرة للمرأة في المجتمع.

كما يظهر كذلك انبهار الروائي في هذا النّص من خلال تمعنه في اللوحات الطبيعية التي يراها خارج نافذة القطار. فقد كان ينظر نظرة إعجاب إلى تلك الغابات والحقول الجميلة التي لم يسبق له أن رآها فيما مضى، فهي أشبه بالخيال، ذلك في قوله: «**والقطار يصفر منسابًا نحو الأمام كالثعبان العملاق يلتمس له مفرًا. يخترق المروج والغابات والحقول بسرعة تذهل الناظر إذهالا. وأنت تارة تنظر إلى ما خارج النافذة للاستمتاع بهذه اللّوحات الطبيعيّة التي تتجدد**»[1].

إضافة وصف الروائي وهو في رحلته في القطار جمال الحسناء التي كانت تجلس أمامه. فقد كان يختلس النظر إلى حسنها ورقتها وجمالها ووجهها حيث لم يستطع الكلام معها أصبح كالأخرس، وهذا الإعجاب كان يسري في كيان فقط ويزداد شيئا فشيئًا، ويظهر هذا في قوله: «**ومن انبهارك بجمال الحسناء التي تجلس أمامك لا تستطيع التحديق في وجهها. فقد تلتقي نظرتك بنظرتها التي قد تحرقك ولا تبقي عليك شيئا! أفضل لك أن لا تلتقي نظراتكما**»[2].

أشار كذلك الروائي إلى نقطة مهمة وهي إعجابه بالسلوكيات الأخلاقية وكيفية التفكير لدى الإنسان الغربي، كذلك ألفت نظره الدقة والمتانة في حرفهم الصناعية والتعامل مع وقتهم بصرامة وكل هذه الصفات والقيم الإيجابية وهي تختلف اختلافا كبيرًا عنّا نحن الشرق. ويظهر ذلك في

---

[1] – رواية وشيء آخر، ص390.

[2] – المصدر نفسه، ص 389.

قوله «**لكأنّ فيها ملامح من أولئك القوم. في سلوكهم الجدّ، وفي تفكيرهم العقل، وفي التعامل مع زمنهم الصرامة، وفي صناعتهم الدقّة والمتانة**»[1].

إضافة من الدلائل التي تؤكد انبهار الشرق من الغرب نجد سفر عمر من الزيتونية إلى بلاد غربية والتقاءه بالتاجر الغني، حيث جعله يعمل عنده، وقرر حينئذ أخذه إلى بيته لأنه كان يعيش في غرفة تشبه إصطبل الحمير، فجعله كابن له وهذا دليل على بساطة التاجر الغريب ورقته رغم ثرائه لم يستصغره رغم كونه جزائري بل ساعده. والروائي هنا أراد أن يشير إلى تحضّر فكر الرجل الغربي الذي لم يكن عمر ينتظره لأنه مرّت عليه عراقيل ومصاعب كثيرة. فكان يحمل له الود والتقدير الكبيرين، حتّى أنه تألم كثيرًا عند مغادرته للمتجر دون أن يعلمه.

ويظهر الود والاحترام في الحوار الذي جرى بين عمر والتاجر:

«**صحّح لي التاجر قولي:**

– بل قلْ: عمّي ولا تقلْ: سيّدي! فلم تعد بيننا كُلفة، بل صارت الكلفة، أُلفة! والغُربة، قُربة!»[2].

كذلك في قوله: «**.... صرت أقيم فيه مقامًا كريما . بل كان التاجر يدعوني إلى تناول الطعام على مائدته**»[3].

---

[1] – رواية وشيء آخر، ص 407.

[2] – المصدر نفسه، ص 270.

[3] – المصدر نفسه، ص 268.

نستنتج من هنا أنّ التاجر رغم قوته وثرائه لكنّه يقدّر الفقراء، فهو محافظ على مبادئه وطيبته.

كما انبهر كذلك الروائي في كيفية معاملة واستضافة الغربي للضيف، فهم يقدرونه ويستقبلونه أحسن استقبال ويعاملونه كأنّه من أهل البيت، وهذا ما وجده كريم ابن عمر عند زيارته لبيت **كاترين** في فرنسا، فقد استقبلته أحسن استقبال في قوله: «.... **ملابس كريم الخارجيّة مبلّلة ! ماذا تنتظرين؟ انزعيها عنه، وجفّفيها له على المدفأة، إذ لم تكن لنا ملابس للرجال فتستعيض له بها**»[1].

إذن هذه الرؤية الإنبهارية بالحضارة الغربية وعلومها وتكنولوجياتها دليل على تفوق الغرب على الشرق بتقدمه في كل المجالات والفنون والعلوم، مثال على ذلك نجد أن **عمر** سافر إلى الغرب من أجل تكوين ذاته ملتزمًا بفكرة أنّ الحياة في تلك القرية لا تغني ولا يستطيع العيش في الفقر، فلو سافر إلى بلاد غربية فإنّه يستطيع أن يكوّن نفسه ويثبت ذاتيته، كذلك شخصية **كريم** الذي أراد أن يكمل دراسته في الخارج. ومن هنا نستنتج أنّ سكان الزيتونية يعيشون في ظلام دامس لا حياة فيه، فالكل يهرب منه من أجل تكوين مستقبله، كأنّ الراوي يصور التخلّف والانحطاط والفقر الذي مرّت به الجزائر في ماضيها حيث عانت كثيرًا وأصيبت بالوهن والعجز بسبب الاستعمار الفرنسي وما خلّفه، وقد أعطى لنا الراوي مثال وقام بمقارنة دقيقة بين قطار

[1] – رواية وشيء آخر ، ص 468.

الغرب وقطار الشرق، فالأول أشبه بالطائرة أما الثاني فهو خردة بقي على حالة لم يطرأ عليه أي تغيير، والغرب كانوا أسبق إلى الحداثة والمعرفة حيث واكبوا العصر، وأصبحوا مصدر القوة والازدهار فهي المسيطرة على عالم الشرق أو العالم الثالث، أما الشرق فهو أشبه بذلك الشيخ الذي يحاول أن يحافظ على أصالة وتقاليد الوطن وتراثه، لكن في المقابل يبقى في دوامة لا يستطيع الخروج منها، يبقى في نقطة واحدة لا يستطيع أن يتقدم إلى الأمام يحافظ على أصالة وتقليد الوطن وترابه.

إذن في هذه الرواية نرى أنّ "**عبد الملك مرتاض**" انبهر كثيرا واندهش من إنجازات الحضارة والثقافة الغربية المزدهرة في شتى المجالات، كما أنه قدم لنا بعض الفروارق والاختلافات الموجودة بين الحضارة الغربية والشرقية، فقد وصف تقدّم الغرب بالقطار الذي يسير بسرعة فائقة، وأما فيما يخصّ الشرق فقد وصف تخلّفه وانحطاطه وضعفه بالشيخ الهرم.

ب- الرؤية العدوانية:

يعتبر الآخر (الغرب) عدوا للأنا (الشرق) نظرا للحقد الذي يكنّه الآخر للأنا، فلقد تعرضت الأنا الشرقية للتهميش من طرف الآخر. وعليه، فالعلاقة القائمة بين الشرق والغرب ليست علاقة إيجابية يغمرها التعايش والسلام، بل هي علاقة سلبية صدامية وعدوانية.

لقد جاءت الرواية العربية التي تناولت ثنائية وجدلية الأنا والآخر (الشرق والغرب)، حيث أنّها أظهرت الصراع القائم بين الشرق والغرب، ومدى كراهية الإنسان الشرقي للغرب، باعتبار هذا الأخير عدوا لها لأنّه ينظر للشرقي نظرة وحشية واحتقارية والنبذ والحقد ضدها، وكذلك تعرضت

الأنا الشرقية للإهانة والتعذيب والتشريد من طرف الغرب ولذلك تولدت في نفسية الأنا الشرقية مشاعر البغض والكراهية والعدوان اتّجاه الآخر (الغرب).

تتمظهر هذه الرؤية العدوانية في العديد من الروايات نذكر على سبيل المثال: رواية "**موسم الهجرة إلى الشمال**" "**للطيب صالح**"، ففي هذه الرواية الروائي يصف البلد الغربي بالمحتل والاستغلالي.

ومن الروايات كذلك التّي تناولت الرؤية العدائية والصدامية أيضا نجد رواية "**أمواج البحر**" **للكاتب المغربي** "**مصطفى شعبان**"، والتي ترصد لنا صورة مغترب كان يحلم منذ صغره في المدرسة أن يكون طبيبًا، لأنّ بلده يعاني من الفقر والبطالة، وليس أمامه من حل سوى ركوب الموج وأخطاره للبحث عن حياة أفضل في باريس، ولكنه عاش في باريس ظروف صعبة ودخل السجن، حيث أنه عاش «**رحال انفصاما سيكولوجيا مزدوجًا على المستوى الذاتي بسبب التمزق النفسي بين البر والبحر وبين الأنا والآخر**»[1]، ونفهم من هذه الرواية أن بطل الرواية "**رحال**" هاجر دون هوية وذلك من أجل إثبات وجوده ولكن بدون جدوى فقد عاش التهميش من قبل الآخر الغربي.

ومن الروايات الجزائرية التي تمظهرت فيها الرؤية العدوانية نجد رواية "**وشيء آخر**" للروائي "**عبد الملك مرتاض**"، حيث يرى الراوي في هذه الرواية الغرب الأوربي والأجنبي عدوله، والسبب

[1] – جميل حمداوي، صورة جدلية الأنا والأخر في الخطاب الروائي العربي، مجلة المثقف، مقال من الإنترنت http//www.almothqaf.com، 26-5-2019.

يعود إلى أنّ الغرب (الآخر) يعامل الشرق (الأنا) معاملة بشعة وبطريقة همجية لأنّه المتفوق عليه، على عكس الشرق في نظرهم هو بلد متخلّف وأميّ وفقير . وتظهر النظرة العدوانية الشرقية للآخر الغربي في هذه الرواية في قوله: «**ألم أقل لك إنّ شعبي قاوم وجودكم عندنا، إذ احتللتم أرضنا قهرًا**»[1]، إذن فالشرق (الجزائر) احتلت من طرف فرنسا، وبالتالي عايشتها ظروفا قاسية وصعبة جدًا وسلبت منه ممتلكاته وعاش في بؤس وشقاء.

فالأنا الشرقية شعرت بفقدان ذاتها ووجودها في بلاد يعمها الفقر والبطالة والبؤس والشقاء السبب في ذلك هو المستعمر الذي قام باحتلالها وتدميرها، ولهذا السبب فالحضارة الشرقية مثلها الروائي بالقرية التي تدعى "**الزيتونية العليا**" التي تمثل الجزائر، فهي قرية مظلمة عمّها الفقر والبطالة والتخلّف وسكانها يعيشون وسط أبنية كأنّها قبور ولا حياة لها، بل هي كالظلام الدامس. إذن فالروائي يريد أن يقوم بالمقارنة بين حال الجزائر بغيرهم (الغرب) فرنسا. وفي الرواية نجد أنّ الروائي تحدث عن سارة الحسناء التي تعيش وسط سكان القرية الزيتونية الطامعين بها ولكنّها أحبت عمر الذي لم يستطيع أن يقدم لها كل شيء لأنّه فقير وبالتالي لما رأى عمر هذا التخلّف والفقر الذي عمّ القرية قرّر أن يسافر ويرحل عن القرية وذلك من أجل إثبات وجوده وذاته وكيانه. ولكن من جهة أخرى عمر لمّا هاجر عاش ظروفًا مأساوية وصعبة جدّا في بلد عنصري لا يحبون الأجانب ويحتقرونهم، فعاملوه بطريقة بشعة وعاش في الذّل والإهانة والحرمان، واتهم بالتجسس

[1] – رواية وشيء آخر، ص 441.

فدخل السجن في مملكة تدعى "مملكة الشقاء"، فعاش هناك أياما صعبة وظروف قاسية في قوله: **«تكأّدت من الهمّ والحرمان والذّل ما تكأّدت. لم أكن آكل من أصل الطعام إلاّ نادرًا. بل كانوا يلقون إليّ بما فضل منه عنهم إلقاء . كانوا ربما حالوا بيني وبين الذهاب إلى الحمام لقضاء حاجتي فلا يسمح لي بذلك إلاّ بالتودّد والاسترحام »**[1].

إذن **عمر** الشاب الجزائري يرى أن تلك المملكة هي عدوة له والسبب يعود إلى أنّ تلك المملكة تكره الأجانب، ولكن عمر رغم الصعوبات التي مرّ بها في بلد أجنبي غربي إلاّ أنه تعلّم أنّ الشقاء هو مصدر الرزق والسعادة، ومن هنا نفهم أنّه رغم الظروف الصعبة التي عانها عمر في الغربة إلاّ أنه تمكن من تجاوزها وتعلم الكثير من الأشياء لم يكن يعرفها في بلدته الزيتونية المتخلفة.

فالشقاء يعلّم الإنسان معنى الحياة وكيفية كسب الرزق الحلال دون الاعتماد على الغير والآخر.

لقد تعرض **عمر** إلى الكثير من المصاعب والمشاكل ويظهر ذلك في قوله: **«كنّا، في خرجاتنا تحت الحراسة، نحمل الأحجار الثقيلة فننقلها من مكان إلى مكان آخر لمجرّد حب الإذلال والتعذيب ولم يكن ذلك غاية نفعيّة يرتفقُ بها»**[2]، وكذلك في قوله: **«كنّا نحمل الصخور**

[1] – رواية وشيء آخر، ص 230.

[2] – رواية وشيء آخر، ص 233.

ثم نضعها. طورًا نحملها بين أيدينا، وطورا على ظهورنا. تبعا لأمزجة الأحراس الذين كانوا يحرسوننا. كنّا ربما نقلناها من مكان أسفل، إلى مكان آخر أعلى. عبثا وشقًّا علينا»[1].

نفهم من كل هذا أن المستعمر يحتقر الجزائري ويعامله بطريقة بشعة فقد عايشه التعذيب والشقاء والحرمان والذّل. ولكن هذا البطل **عمر** رغم تلك المشاكل والإهانات التّي تعرض إليها إلاّ أنه صبر وتمكن من تحقيق مراده في بلد أجنبي غربي ويظهر ذلك في قوله: «**أدركت لغزيّة الوجود. تعرّفت تفاهة الإنسان، صرت أسخر مما في الكون كلّه جملة وتفضيلاً أدركت أنّ الشقاء هو الأصل في حياتنا، اقتنعت بأنّ السعادة مجرّد مظهر خيتعُور.... السعادة محفوفة بالشقاء. والحياة محفوفة بكل مظاهر الفناء»**[2].

إذن **عمر** رغم عداوة الملك وظلمه له، إلاّ أنه بقي في هدوء في تلك المملكة التي تدعى "مملكة الشقاء" التي سيطر عليها ذلك الملك الظالم، وبالتّالي **عمر** رضي بالقضاء والقدر وصبر لظلم الملك، وهنا نرى تقبل عمر لهذا الظلم وبقي في السجن، لكن في المقابل تعرف على العلماء والأدباء وتعلّم منهم.

وصف **عمر** الملك بالخبث، وفرض التقطيب على رعيته، وكل من يبتسم مصيره السجن وكان الملك المثل الأعلى في ذلك السجن إذ يجب على رعيته الاقتداء به.

---

[1] – المصدر نفسه، ص 234.

[2] – المصدر نفسه، ص 235.

وهنا تظهر عدوانية **عمر** تجاه هذا الملك الذي لا يعرف الرحمة، حيث أنّه وجد من غير اللائق أن يفرض هذه القوانين الظالمة على النّاس، أو بالأحرى يرى بأنّ هذا الملك ليس مؤهلا أن يتربع على العرش وأن يحكم هذه المملكة لأنه لم يرى هذه الأحداث وهذه الصفات في قريته، بل بالعكس. وهنا أحسّن بالتهميش في بلاد غريبة تختلف اختلافا كبيرا عن قرية الزيتونية، أحسّن باختلاف كبير وفراغ، كما أحسّن بسيطرة الإنسان الغربي على الشرقي، ومن هنا نستنتج أنّ في حقيقة الأمر هذا الشاب الجزائري بمثابة الدولة العربية، أما الملك الظالم هو الدولة الغريبة، الدولة التي كانت ومازالت تحاول السيطرة من جديد.

ج – الرؤية الحضارية:

لقد انبهر الشرق بحضارة وثقافة الغرب، باعتباره البلد المثقف والمزهر والمتقدم في شتى الميادين سواء (العلمية، الاجتماعية، الفنية، والاقتصادية)، حيث أنّ البلد الشرقي انبهر كثيرًا بالاختراعات والاكتشافات التي يزخر بها البلد الغربي المتقدم. فلاحظ أنّه ثمة فرق كبير بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية سواء في العادات والتقاليد والأصول أو فيما يخص الجوانب الأخرى. فهناك فرق شاسع بين الشرق والغرب سواء على مستوى القيم الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية. لذلك نجد أن العديد والكثير من الروايات العربية والجزائرية عبرت عن ذلك الاختلاف، كما يظهر ذلك في رواية:"**موسم الهجرة إلى الشمال**" "**للطيب صالح**" التي جسدت لنا الصراع القائم بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية. وبالتالي الغرب قاموا باحتلال البلد الشرقي

لذلك نجد أن في هذه الرواية البطل **مصطفى سعيد** حاول الانتقام من الحضارة الغربية بسبب الذل والحرمان والظلم الذي عانت منه.

كذلك من الروايات التي صوّرت لنا ذلك التفاوت والاختلاف بين عالم التقدم والازدهار وعالم التخلّف نجد رواية "**أديب**" "**لطه حسين**"، وكذلك رواية "**علم الدين**" "**لعلي مبارك**" ورواية "**عصفور من الشرق**" "**لتوفيق الحكيم**". فهذه الروايات كلها صوّرت لنا مدّى التفاوت والاختلاف القائم بين الشرق والغرب.

ومن الروايات الأخرى التي جسّدت لنا رؤية حضارية نجد رواية "**وشيء آخر**" "**لعبد مرتاض** الملك "، إذ جسد فيها الكاتب انبهارا الجزائري بالبلد الغربي الأجنبي الحضاري الإنساني، وتظهر هذه النظرة الحضارية للآخر الغربي من خلال وصف الأماكن والأحياء العمرانية الخاصة بالبلد الغربي وذلك أثناء هجرة وسفر بطل الرواية "**كريم**" ابن "**سارة**" بغية إكمال مشواره التعليمي في بلد أجنبي (فرنسا)، إذ انبهر وتعجب من تلك المناظر العجيبة في فرنسا ويظهر ذلك في قوله: «**والقطار يصفر منسابًا نحو الأمام كالثعبان العملاق يلتمس له مفرًّا. يخترق المروج والغابات والحقول بسرعة تذهل الناظر إذهالاً**»[1]. وكذلك تظهر معالم الحضارة الغربية في قوله: «**وها أنت ذا في قطارك قابعًا تحت النافذة تتفرّج على المشاهد الجميلة والمروج الخضراء**»[2]، فالروائي هنا صوّر لنا مدى إعجابه بتلك المناظر الخلابة. وصف الروائي أيضا الحقول والغابات الخضراء

[1] رواية وشيء آخر، ص 390.

[2] – المصدر نفسه، ص 401.

ودخان المصانع في قوله: «**والقطار ينساب بين الغابات والحقول. ودخان المصانع يتصاعد أسود..... تهبّ عليه الرّيح فتتشكل منه تشكيلات في الفضاء فإذا منه خطوط وأشكال وأحجام مرسومة مختلفة في الأفق المطبق بالسّحاب الكثيف.... أنت الآن لا تكاد ترى من تلك المناظر البديعية التي كنت تستمتع بمشاهدتها**»[1]. هكذا إذن فقد وصف لنا "كريم" تلك المعالم والمناظر الخلابة، وهذا كله يكشف لنا عن المعالم والتطورات التي يتمتع بها البلد الغربي (فرنسا).

كما وصف مناظر طبيعية أخرى في قوله: «**وعادت المناظر الطّبيعية إلى سيرتها الأولى من التجلّي. بل لقد أشرقت شمس شاحبة على النّاس. عائلات تتنزّه.. أفرادها مسترخون على العشب الأخضر الذي غطّى كل وجه الأرض. لا شيء كان يبدو إلاّ وتراه أخضر ناضرا. إنّه الربيع** »[2]، لقد أعجب **كريم** بتلك المناظر واللّوحات الفنية التي تتمتع بها فرنسا المتقدمة.

كذلك نجد في هذه الرواية معالم إنسانية وحضارية تجمع بين مختلف الشخصيات الشرقية والشخصيات الغربية فمثلا نجد: شخصية **(كريم)** ابن **سارة** وشخصية **(كاترين)** التي تنتمي إلى بلد غربي (فرنسا)، فلقد جمعهما الحب والوفاء ويظهر ذلك في قوله «**أنا أحبّك يا كاترين! لقد أحببتك في الحقيقة منذ زهاء خمس ساعات، أي منذ أن دخلت علي مقعدي في القطار ونحن لا نزال في محطّة القطار بباريس نفسها...**»[3].

---

[1] – المصدر السابق، ص 408.

[2] – رواية وشيء آخر، ص 410.

[3] – المصدر نفسه، ص 433.

ونفهم من خلال ما ذكرناه أنّ البلد الغربي يتّسم ويحمل ملامح الإنسانية والطيبة والاحترام والتقدير للبلد الشرقي. لكن من جهة أخرى فالبلد الغربي الأجنبي ينظر إلى الشّرق على أنّه بلد متخلّف وأمي.

هاجر **كريم** لغرض مواصلة تعلمه وكذا التّعرف على الحضارة الغربية المتطورة واكتشاف معالمها، ولكن هذه الشخصية **(كريم)** التي سافرت من أجل طلب العلم والمعرفة لما التقت بذلك العالم الغربي اندهشت وانبهرت منه ونسيت تمامًا الهدف التي طمحت تحقيقه من خلال هجرتها والسبب يعود إلى انبهاره بجمال تلك الحسناء التي تدعى **(كاترين)** فلقد أثرت فيه كثيرًا إلى درجة أنه ترك كل ما كان ينوي فعله في ذلك البلد الأوربي، وبالتالي لحق تلك الفتاة الحسناء ويظهر ذلك في قوله: «**التحقت بالفتاة التحاقا. لم تكن تنتظر هي أنّك ستتبعها**»[1]، كذلك في قوله: «**....ثم هي غادرت الآن الرصيف متوجّهة إلى شأنها...ركضت نحوها ركضًا. مخافة أن تُفْلتَ منك باختفائها بين المارّة والسّفر**»[2].

ويظهر ذلك أيضا في قوله: «**أحيّيك، آنستي! إنّي كنت قاصدًا ستراسبورغ، لكنّي لم أستطع السُّلُو عنْك. عدلت عن قصد سفري ذاك. من أجل أن أراك. لأتعرّفك! لأحادثك. لأكون ظلّك الذي لا يفارقك**»[3]، ونفهم من خلال كل هذا أنّ البطل **كريم** الشاب الجزائري قد ترك مستقبله من أجل

---

[1] – رواية وشيء وآخر، ص 420.

[2] – المصدر نفسه، ص 420.

[3] – المصدر نفسه، ص 421.

تلك الفتاة الحسناء **(كاترين)**، فلقد أحبّها ورغب في العيش معها. إذن **كريم** اندهش وتعجب من الحضارة والثقافة الغربية ومن جمال الحسناوات الأوربيات الغربيات، وبالتالي نرى كثيرا أن الحضارة الشرقية دائما في رحلة استكشاف الحضارة الغربية، والتعرف على معالمها والحصول على فنونها ومختلف علومها وآدابها، ولكن من جهة أخرى تلك الحضارة الشرقية دائما أمام امتحان صعب جدّا بسبب التباين والاختلاف بين الحضارة الغربية والحضارة الشرقية سواء في القيم والعادات والتقاليد، أو فيما يخص العمران والسكان والمعالم الأثرية والتاريخية. وهنا يظهر تفوق الغرب وانحطاط وتخلّف الشرق. ومن نتائج هذا التخلّف والانحطاط الذي أصاب البلد الشرقي نجد الشباب يحاولون الهروب من ذلك الانحطاط مع التمسك بالأصول والأعراف والقيم الدينية التي يتمتّع بها بلده. فذلك الهروب كان عن طريق السفر والهجرة والتّرحال نحو بلد منفتح ومزدهر يختلف تمامًا عن بلده المتخلّف والضعيف.

فرغم الاختلاف الموجود بين الحضارتين الغربية والشرقية إلاّ أنّهما تربطهما وتجمعهما علاقة الصداقة والمحبة وهذا ما لاحظناه في روايتنا هذه من خلال الشخصيات المذكورة شخصية **عمر** مع **التاجر الثري**، وشخصية **كريم** مع **كاترين** فلقد جمعهما الود والصداقة والحنان.

من خلال هذه الرؤى الثلاث **لعبد الملك مرتاض** نستنتج أنّ الرجل الشرقي اختلفت نظرته إلى الغرب وهذه الرواية خير مثال على ذلك، حيث بيّنت لنا نقاط الالتقاء والتصادم بين هاتين الثنائيتين، فالغرب مجتمع راقي متحضر، عرف تطور كبير منذ عصر النهضة في مختلف المجالات والميادين ولهذا نرى أنّ المجتمع الشرقي أعجب وانبهر من الحضارة والثقافة الغربية

وأصبح يمجّده وحاول الاندماج فيه وتقليده في كل المجالات، لكن هناك تيار آخر عاكسه وله نظرة أخرى تتمثل في العدوانية وعدم تقبله، والسبب في ذلك يعود إلى قساوة الاستعمار وسياسة القمع التّي مورست عليه وأصبح مجتمع ضعيف يسوده الجهل والتخلّف.

المبحث الثاني: حضور الهوية من خلال اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب

أ – نظرة الشرق إلى الغرب في رواية" وشيء آخر":

إنّ الأنا الشرقية قد تعرضّت للتهميش والحرمان والجوع والفقر من طرف الغربي العدواني حيث تسبّب في تخلفّها وانحطاطها، حيث سلب كل ممتلكاتها وخيراتها. لذلك نجد دائما أنّ الأنا الشرقية في حصار دائم مع الآخر الغربي المستعمر، وهي تقاوم وتناضل من أجل فك هذا الحصار بمختلف الطرق والوسائل، فهي دائما تعاني من فقدان ذاتها ووجودها وكيانها بسبب المستعمر الذي قام بالاستيلاء عليها وأخذ كل ممتلكاتها، وبالتالي "الأنا" الشرقية عانت كثيرًا ومازالت تعاني من التخلّف والفشل والضعف والانحطاط فهي تفتقد العلم والمعرفة والثقافة على عكس البلد الغربي فهو يمتلك التكنولوجيا والمعرفة وكل متطلبات الحياة.

هذا التخلّف والضعف دفع الجزائري إلى الانفتاح والاندماج والتواصل مع العالم الجديد الأكثر تفتّحًا وذلك من أجل التخلّص من ذلك الانكسار والفشل ولهذا نرى أنّ معظم الشباب في الجزائر حاول الهجرة والترحال بحث عن حياة أفضل وتجنّب الإرث والنموذج العربي القديم والاندماج مع النموذج الغربي الجديد الذي يحمل ملامح الحرية والاستقلال.

في روايتنا هذه ("**وشيء آخر**" **لعبد الملك مرتاض)** نلاحظ أن الأنا الشرقية تنظر إلى الغرب الأوروبي الأجنبي نظرة إعجاب واندهاش وانبهار من ذلك العالم المثالي المزدهر.

تتحدث الرواية عن الحسناء "**سارة**" الجميلة وزوجها "**عمر**" الفقير اللذان يعيشان وسط قرية تدعى قرية الزيتونية التي عمّها الفقر والبطالة والجهل والأمية والكثير من المعتقدات والأصول القديمة والتراثية. **فعمر** أحب **سارة** كثيرًا وهي كذلك ولكن للأسف الشديد "**عمر**" كان فقيرًا جدًا، وبالتالي قرّر الرحيل والهجرة من أجل كسب المال لإسعاد زوجته .

عمر كان ينظر إلى البلد الأوروبي نظرة إعجاب واندهاش لأنّه بلد متقدم يختلف تمامًا عن بلده (الجزائر). سافر عمر إذن من بلدته المتخلّفة والضعيفة إلى مكان آخر، ولكنّه لم يكن يعرف ويدري إلى أين سوف يسافر فقط ما يهمه هو الابتعاد عن تلك القرية المزرية بحثا عن مكان أفضل. فقصد أماكن عدّة ولكنّه ذات يوم وبالصدفة قصد مملكة تدعى "**بمملكة الصفاء**" إذ أعجب كثيرًا بتلك المدينة الراقية ومن سكانها وعمرانها ويظهر ذلك في قوله: «**وبينا أنا كذلك، إذا بي أدفع إلى مدينة كبيرة عامرة، كثير عدد سكّانها، نافقة تجارتها، غزيرة مياهها، إذ كان نهر عظيم يشقها**»[1].

[1] – رواية وشيء آخر، ص 250.

عمر اندهش من تلك المدينة الفاخرة لأنّها مختلفة تمامًا عن بلده الضعيف والمهزوم والمتخلّف. كما انبهر كثيرا من جمال تلك المدينة في قوله: «**في غداة الغد بدأت أتجوّل في شوارع المدينة النظيفة وأتأمّل نهرها الثرثار وحدائقها الغنّاء**»[1].

وأهم شيء لاحظه "**عمر**" في سكان تلك المدينة الجميلة هو الاحترام والتقدير والتكافل والتعاون الذي عمّ أرجاء المدينة على عكس بلدته الزيتونية حيث لاحظ فرق شاسع بينهما ويظهر ذلك في قوله: «**كانت الاحترافية بادية على سلوكهم وهم ينشطون. كان كل منهم ينهض بغير ما ينهض به الآخر. ذكرت شبابنا في الزيتونيّة العليا، وقارنت بين ما هم عليه من الكسل والخمول، وجلوسهم لقذف الأعراض في القعدة الكبرى**»[2]، نفهم من هذا أن "**عمر**" قد انبهر واندهش من ذلك العالم الغربي والأوروبي وشعر بالحزن كثيرًا لأنه رجل فقير ويعاني كثيرًا في حياته من أجل كسب المال والعيش في رغد. ولكنه لم يستسلم وبقي صبورا إلى أن جاءته الصدفة بلقائه مع التاجر الثري والغني، إذ وقف عمر أمام متجره بالصدفة ثم خاطبه ذلك التاجر الثري بقوله «**ما وراءك يا فتى؟ هل تريد أن يساعدك الغلمان في شيء تريد شراءه؟ لقد طال انتظارك دون أن يعنى بك أحد، فما شأنك؟**»[3]، ثم أجابه **عمر** وقال له أنه جاء من بلدة فقيرة يعاني من

---

[1] – المصدر السابق، ص 251.

[2] – رواية وشيء آخر، ص 252.

[3] – المصدر نفسه، ص 253.

البطالة والجهل. أجابه التاجر الثري:«**أنا أشفق على الغرباء الفقراء! لقد كابدت في شبابي الغربة والفقر وعانيت منها**»[1].

لقد أصبح "**عمر**" يعمل لدى التاجر الثري إذ لم يلقى منه إلاّ كل احترام وتقدير ولذلك نرى أنّ **عمر** كان ينظر إلى الرجل الغربي "التاجر الثري " نظرة إعجاب وحب. كما أنّ **عمر** عمل عند ذلك التاجر الثري وأصبح عاملاً متفوقًا وناجحًا يحب عمله ومهنته، وبالتالي تلقى من ذلك الآخر الغربي الأجنبي كل الاحترام والتقدير والمحبة، فأصبح بمثابة ولد لذلك التاجر الثري لأنه يعمل بجدّ ونشاط ولا يهمل عمله، وبالتالي أصبح عمر ذو مكانة لائقة في تلك المدينة في قوله «**جلست كأيّ من بني آدم إلى مكتب أنيق لأوّل مرّة بعد اليأس والضياع والضرب في الأرض ما بين المدن والقرى تائها! لم أحظ بمثل تلك المرتبة الرفيعة وأنا ببلدي الزيتونيّة العليا**»[2]، إذن **عمر** كان ينظر للآخر الغربي نظرة إعجاب لأنّه تلقى من ذلك العالم الغربي كل الاحترام والتقدير والمحبة التي فقدها في بلدته الزيتونيّة العليا المتخلّفة والفاشلة، إذن فالشرقي ينظر إلى الغرب نظرة تعلق وإعجاب، والسبب في ذلك هو أن الأنا الشرقية تلقت كل الاحترام من قبل ذلك الآخر الغربي الأجنبي.

إذن في هذه الرواية نرى أن الرجل الشرقي كان ينظر للآخر الغربي نظرة إعجاب وانبهار من حضارته ومن ثقافته المزدهرة والمتفوقة، ولهذا كثرت الرحلات لاكتشاف تلك الحضارة والعالم

[1] – المصدر السابق، ص 254.

[2] – رواية وشيء آخر، ص 260.

الجديد. فهذا التطور والتقدم الذي تحظى به الحضارة والثقافة الغربية أثّر كثيرًا على عقلية الرجل الشرقي، وبالتالي نلاحظ أنه يبذل كل جهوده من أجل الهجرة والسفر إلى تلك الحضارة المزدهرة.

نلاحظ في هذه الرواية أنّ الروائي عمد تجسيد العلاقة القائمة بين الشرق والغرب ويظهر ذلك من خلال الصداقة والحب بين الشرق والغرب ونلمس ذلك في هذا القول: «**هذا شعور كريم منك، حقًّا، يا سيّدي، وأنا أقدّره في نفسي تقديرا عظيمًا**»[1]، كذلك في قوله «**صحّح لي التاجر قولي: بل قل: عمّي، ولا تقل: سيّدي! فلم تعد بيننا كلفة، بل صارت الكلفة، ألفة! والغربة، قربة!**»[2]، نلاحظ من خلال هذا القول أنّ **عمر** تلقى كل الاحترام والتقدير من قبل التاجر، لهذا ينظر الشرقي إلى الغرب نظرة تعلق وحب، وهذا ما نتج ما يسمى بصورة اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب، وقد قدّم لنا الروائي الكثير من الدّلائل التي تعبّر عن مدى التقدير والحب والاحترام الذي يجمع الحضارة الشرقية بالحضارة الغربية بين "الأنا والآخر"، ويظهر ذلك في قول **عمر**: «**شكرت التاجر على حسن معاملته وتفهمه لغريب مثلي يطلب عملاً. ووعدته بأنّي سأبذل أقصى طاقتي لأنهض بعملي حتّى يرضى عليّ رضًا**»[3]، نفهم من هذا القول أنّ **عمر** تلقى كل الاحترام والتقدير من طرف التاجر الأجنبي. ولهذا نرى أنّ الأنا الشرقية تأثرت كثيرًا بالبلد الأجنبي فثمة اختلاف كبير بين حضارته والحضارة الغربية سواء في القيم والأصول أو فيما يخص السلوك

---

[1] – المصدر السابق، ص 270.

[2] – رواية وشيء آخر، ص 270.

[3] – المصدر نفسه، ص254.

الاجتماعية. إذ نرى أنّ الآخر الغربي يعامل الغرباء بطريقة حسنة وبالتالي نشأت بينهما علاقة وّد وصداقة ووفاء.

تواصل الرواية الحديث عن الرحلات فهذا "**كريم** ابن **سارة**" الفتى الناجح في دراسته أهّل لإكمال مساره الدراسي الجامعي خارج بلدته الزيتونية المتخلّفة وهو بلد أجنبي يدعى "ستراسبورغ ركب "**كريم**" القطار متجه إلى ذلك البلد الأوروبي أين التقى في ذلك القطار وبالصدفة بفتاة فرنسية حسناء جميلة، أعجب **كريم** كثيرًا بجمال تلك الحسناء. كما انبهر كذلك من ذلك القطار الفخم على عكس قطارهم البدائي في قوله: «**في هذا القطار العجائبّي الذي لو رآه المتخلّفون تكنولوجيّا لعدّو من فعل الجنّ وعبقريّتها!**»[1]، فهذا الشاب الجزائري انبهر من هذا الاختراع التكنولوجي الذي تزخر به الغرب فتأثر كثيرًا من ذلك القطار العجيب ومن جمال تلك الفتاة الحسناء الفرنسية، ثم لحقها "**كريم**" عند نزولها من القطار، فتبعها لأنّه انبهر من جمالها ولحسن الحظ تلك الحسناء تكلمت مع كريم بكل احترام وتقدير وهنا تظهر الملامح الإيجابية للغرب اتجاه الشرق.

نلاحظ أيضا في هذه الرواية أنّ الآخر الغربي أعجب بالأنا الشرقي كثيرًا من خلال الأخلاق التّي يتمتع بها والسلوكيات الحميدة ويظهر ذلك في هذا القول: «**عجبت كاترين من أمر فتاها عجبًا مدهشا. يريد أن يصلّي الآن بيننا؟**»[2]، وكذلك في هذا القول: «**ما رأيك في أن تخصّص لي جلسة لتتحدّث لي فيها عن الإسلام، قليلاً؟**»[1].

---

[1] – رواية وشيء آخر، ص 390.

[2] – المصدر نفسه، ص 476.

كذلك يظهر تأثير الأنا على الآخر في قول والدة **كاترين: «لقد اختارت كاترين فتى وسيمًا أنيقًا. وذكيًّا مهذّبا. اسمح لي يا كريم أنا أناديك: ولدي! فأنت لنا هدّية عظيمة من السماء...»**[2] يتضح من مخاطبة والدة كاترين لكريم أنّها معجبة كثيرا بأخلاق كريم الحميدة.

ويظهر ذلك أيضا: «**أنا معجبة به إعجابًا عظيما. ومقتنعة بشخصيّته الرجوليّة، علميّا واجتماعيّا، وإنسانيًّا، اقتناعًا تامًّا... أنا أحبّك يا كريم**»[3]، يظهر أنّ المرأة الغربية معجبة بأخلاق وصفات الشاب الجزائري الذي مثله الروائي بشخصية " **كريم**".

وهكذا نرى أنّ الشرق استيقظ من ذلك الخمول والجمود الأدبي والفني والاجتماعي وراح الشرقيون يقلدّون الغرب في كل المجالات (الاقتصادية، العلمية، الأدبية، الفنية)، وبالتالي الأنا الشرقي نراه معجب كثيرًا من ذلك الآخر الغربي لأنّه متفوق ومتطور رغم استعماره وسلب كل ممتلكاته، إلا أنّ الأنا الشرقي لم يفقد الأمل بل حاول تقليد الغرب في كل النّواحي والمجالات من أجل إنقاص ضعفه وفشله وانحطاطه، وبالفعل تمكّن من تجاور ذلك الحاجز الذي يعترض طريقه والفضل يعود إلى ذلك الآخر الغربي الذي حفزّها من أجل النهوض من خمولها وجمودها وضعفها وفشلها.

---

[1] – المصدر السابق، ص 478.

[2] – المصدر نفسه، ص 470.

[3] – المصدر نفسه، ص 472.

ب – نظرة الغرب إلى الشرق في رواية" وشيء آخر":

إنّ الآخر الغربي ما يزال يعتبر الأنا الشرقي (الشرق) بلد متخلّف وضعيف يعمّه الجهل والفقر والأمية ويعاني من التقليد ومحاكاة النماذج التراثية القديمة.

فالغرب هو مصدر العلم والثقافة والحداثة يزخر بمختلف الاختراعات والتكنولوجيا ومختلف التقنيات الحديثة والجديدة. فالعقلية الشرقية والغربية مختلفتان عن بعض، الأولى عمّها التخلّف والانحطاط والضعف، والثانية عمّها العلم والثقافة والمعرفة والتطور.

وعليه فإنّ الغرب كان ينظر إلى الشرق نظرة احتقار واستهزاء، فهو يريد أن يكون المسيطر والمتّحكم ويريد أن يفرض نفسه على الجميع، ونشأ ما يسمى بالصراع والجدل بين الشرق والغرب وبالتالي أصبحت العداوة والبغضاء منتشرة بينهما، خاصة عندما رأى الغرب أن الشرق يمتلكون قيم أخلاقية وأخرى إسلامية ودينية حينئذ شعر الآخر الغربي بالخوف والفزع من الحضارة الشرقية وأحسّ أنّ الغرب يكنّ للشرق الحقد والبغضاء والعداوة، وبالتالي قام الغربي بتشويه صورة الإنسان العربي الشرقي.

وبالعودة إلى روايتنا "**وشيء آخر**" "**لعبد الملك مرتاض**" نجد أن الآخر ينظر إلى الأنا نظرة احتقار واستهزاء ويظهر ذلك ومن خلال قول "**موريس**": «**إنّي لسعيد بأن أراك عدت، وحدك، إلى نحو البيت ولم تأت مع ذلك العربي القذر، كما فعلت أمسًا!**»[1]، يتضح أنّ الآخر يحتقر الشاب

[1] – رواية وشيء آخر، ص 463.

الجزائري " **كريم**" ، حيث وصفه بالصفات القبيحة والرذيلة ويعتبره رجل قذر لا مكانة له في المجتمع. ويتضح كذلك في قوله: «**أنا أعجب من الفرنسيّات الغبيّات اللّواتي يحين رجالاً أجانب طارئين جاءوا إليهنّ من قارّات مختلّفة، ولا يعرفن عنهم شيئًا!**»[1].

وكذلك يظهر احتقار الفرنسي للجزائري في قول موريس «**إنّ المرأة الفرنسيّة ليس ينبغي لها أن تعاشر إلاّ فرنسيّا مثلها راقيًا. وأنت بالذات... كلّ هذا الجمال، وهذه الثقافة، وهذه القيمة الشخصيّة، وهذه المدنّية الراقية... ثم تقبلين على معاشرة رجل حقير متخلّف لا يساوي في سوق القيم فلسًا! أليس ذلك منك، يا كاترين، عيبا، بل عارًا؟ تؤثرين لعشرتك، على رجل من بني جلدتك، أجنبيّا وضيعًا...** »[2]، فكاترين المرأة الفرنسية الحسناء الجميلة أحبت رجلا جزائريا يدعى "**كريم**" فوصفته بأرقى الصفات الخلقية والأخلاقية، ولكن ذلك الرجل الغربي الفرنسي الذي يدعى "**موريس**" كان معجبًا "**بكاترين**" ويحبها وهي كانت ترفضه لأنه رجل متكبر، وبالتالي يحتقر ذلك الشاب الجزائري ووصفه بالمتخلف والأمي والحقير ولا يمتلك الثقافة والعلم والمعرفة على عكس الثقافة والحضارة الفرنسية في نظره أحسن البلدان وأرقاها.

إذن فهذا الرجل الفرنسي الذي يدعى "**موريس**" عامل **كريم** بطريقة سيئة وبشعة، ويصف الجزائر بالبلد المتخلّف والضعيف الذي لا يملك لا تقاليد ولا أعراف ولا أصول ولا مبادئ ولا قيم.

---

[1] – رواية وشيء آخر، ص 464.

[2] – المصدر نفسه، ص464.

وهنا نلمس إذن تشويه الآخر الغربي الأجنبي صورة الأنا الشرقي العربي، وبالتالي هذا الأخير أحس بفقدان هويته ووجوده وكيانه في بلد غربي أجنبي.

وعليه فقد تعرضت الأنا الشرقية من طرف الآخر الغربي الذّل والحرمان والإهانة والتعذيب والتشريد والاستغلال والتّمرد، فشعرت حينئذ الأنا الشرقية بفقدان وجودهما، كما أحسّت كذلك بالكره اتجاه ذلك العالم الغربي الأجنبي المسيطر والمتحكم والاستغلالي.

كما تُظهر لنا رواية " **وشيء آخر**" صوَّرا أخرى متعددة تبين لنا النظرة السلبية والاحتقارية التي كان يعامل بها **موريس لكريم** : «**من أين أتيت، أنت يا شقيُّ؟ وما شأنك أنت هنا؟ وما أنت ومملكة الشقاء؟أراك غريبا عن مملكتنا. وما القصد من مجيئك إلى مملكتنا التّي ترفض أيّ غريب يدخلها، قبل استئذان ملكها؟ وما غرّك بنا؟**»[1]، هنا في هذا القول نرى أن الأجانب والغربيون يرفضون استقبال الغرباء يعني (الشرقيون).

وتظهر معاناة **عمر** عند سفره وهجرته كذلك في قوله: «**تجشّمت وتحمّلت. تأكادتُ من الهّم والحرمان والذّل ما تكادت. لم أكن آكل من أصل الطعام إلاّ نادرًا. بل كانوا يلقون إليّ بما فضل منه عنهم إلقاءً. كانوا ربما حالوا بيني وبين الذهاب إلى الحمّام لقضاء حاجتي، فلا يسمح لي بذلك إلاّ بالتودّد والاسترحام**»[2]، إذن **عمر** قد عان كثيرًا في تلك المملكة الظالمة (مملكة الشقاء) وشعر بالذّل والحرمان والإهانة.

---

[1] – رواية وشيء آخر، ص 276.

[2] – المصدر نفسه، ص 230.

نلمس كذلك معاناة عمر في قوله: «**عاملوني معاملة الجمل الأجرب، فكانوا يحتقرونني، ولا يكادون يلتفتون إلى حاجاتي، إلاّ قليلا جدّا. وإلاّ بعد الإلحاح والترجّي...**»[1]، هنا تظهر المعاناة والمآسي التّي تعرض إليها **>** في تلك المملكة الظالمة التّي لا ترحم أي غريب يقصدها أو يحاول التواجد فيها.

تعدّدت معاناة "عمر" أثناء سفره إلى تلك المملكة الظالمة ويظهر ذلك من خلال قوله: «**كان الأحراس ربما نهضوا ضدّي بحركات ترهيبيّة كأن يسلّوا سيوفهم ويقتربوا منّي مهدّدين إيّاي باستعمالها. بقطع رأسي. لم أكن أستغرب منهم ذلك استغرابا**»[2]، وكذلك في قوله: «**كنا، في خرجاتنا تحت الحراسة، نحمل الأحجار الثقيلة فننقلها من مكان إلى مكان آخر لمجرّد حبّ الإذلال والتعذيب. ولم يكن ذلك لغاية نفعيّة يرتفق بها**»[3]، ونخلص إلى أنّ **عمر** تلقى الكثير والعديد من الضربات من طرف ذلك الأجنبي الغربي (مملكة الشقاء) وبالتالي تولدت في نفسيته وذاتيته مشاعر وأحاسيس الخوف والفزع ولم يكن مرتاحًا أبدًا في تلك المملكة، كما أنّه شعر أنه فقد حريته ويظهر ذلك في قوله: «**وشيئًا، فشيئًا، فقدت أدمّيتي حين فقدت حريتي فصرتُ بهيميًّا. وحين عدمت كرامتي، لم أعد أنا...**»[4]، إذن عمر فقد حريته ووجوده وهويته في تلك المملكة ولم

---

[1] – رواية وشيء آخر، ص 230.

[2] – المصدر نفسه، ص 233.

[3] – المصدر نفسه، ص 233.

[4] – المصدر نفسه، ص 234.

يعد يتحمل تلك المآسي والمصاعب التي تعرض لها، كما أنّه فقد إحساس الفرح والسرور في قوله: «**كنت فقدت حاسّة الابتسام والسرور والأريحيّة، أصلا. فكيف أبتسم وأنا أعيش في جحيم الشقاء؟ وممّ أضحك، أو لمّ والحياة أرخص وأحقر من أن يضحك العاقل فيها؟ وعلام أسعد وليس في الوجود إلاّ التعاسة التّعساء؟**»[1]، كما أنّه حرم من الاستحمام والغسيل في قوله: «**حرموني من غسل لحيتي ومشطها وتشذيبها، إلاّ مرّة واحدة شهريًّا. حين كان يتاح لي أن أستحمّ بحر الماء. دون غسل ولا عطر ولا صابون. كنت أتمثّل نفسي شخصا بشيعا مخيفًا**»[2] عمر تعرض للكثير من الصعوبات والمشاكل في تلك المملكة الظالمة، فشعر آنذاك أنه مهمش لأنّ تلك المملكة ظالمة لا ترحم أي غريب أو أجنبي. هنا نرى أنّ الغرب شوهت صورة الشرق من خلال استعمارها وتدميرها واحتقارها بشتى الطرق والوسائل، حينئذ أحست الشرق بالإهانة وفقدان حريتها وآمالها في الوجود والحياة لأنّها تعاني من التّهميش والقمع والذل والإهانة والحرمان من طرف الآخر الغربي.

[1] – رواية وشيء أخر، ص 236.

[2] – المصدر نفسه ، ص 237.

ج – علاقة الشرق بالغرب في رواية "وشيء آخر":

إن العلاقة القائمة بين الشرق والغرب منذ العصور القديمة هي علاقة تواصل وتبادل فالإنسان منذ الأزل شرع في التواصل مع غيره من الأمم والمجتمعات والحضارات المختلفة وهذا التواصل والتبادل بينهما كان من خلال مختلف والمجالات (الاقتصادية، الاجتماعية، الإنسانية النفسية، التاريخية...) فالإنسان كائن بشري اجتماعي يعيش وسط مجموعة من الناس، فلا يمكنه أن يعيش بمفرده بل يتواصل مع الآخرين، وبالتالي تنشأ بينهما إما علاقة تبادل وتعاطف أو علاقة صراع وصدم. «**فالإنسان بطبعه يحب التواصل، واكتشاف كنه الآخر، والبحث عن الغامض:** "**أعتقد أن القضية مع الغرب ليست قضية الإسلام في ذاته، أي بما هو دين يعبر عن عقيدة معينة، ويلتزم أصحابه بشعائر محددة في حياتهم التعبدية، وإنما هي قضية صراع بين مصالح متعارضة: أحيانا تكون في صورتها العامة بين الشمال والجنوب، أو بين دول الاستعمار الغربي وشعوب العالم الثالث، وأحيانا بين دول إسلامية أو غير إسلامية**»[1]، يتبين لنا من هذا القول أن الأنا والآخر (الشرق والغرب) لا يمكن العيش والاستغناء عن بعضهما البعض فرغم بعض الخلافات والصراعات التي تحدث بينهما إلا أنهما دائما بحاجة إلى بعضهما البعض. فاختلاف التقاليد والقيم والمبادئ والعلم والمعرفة بينهما هذا لا يمنع من التواصل بينهما. فالعلاقة بينهما هي علاقة تواصل وتصالح وتعاطف رغم الظروف التي تحدث بينهما.

[1] – فايز صلاح عثمانة، السرد في رواية السيرة الذاتية العربية، ص 189 .

إذن فالشرق والغرب دائما كانوا مع بعضهما البعض منذ الأزل، وبالتالي دائما نرى الشرقيون يقومون بالرحلات نحو البلاد الغربية من أجل استكشاف حضارتهم المتطورة والمزدهرة على عكس حضارتهم التي عمها التخلّف والخمول. ولكن شيئا فشيئا نلاحظ أن العلاقة بين الشرق والغرب بدأت تتلاشى والسبب في ذلك هي الغرب التي استعمرت شعوب الشرق وحاولت استغلالها وسلب كل ممتلكاتها .

الآن سوف نحاول التطرق إلى العلاقة القائمة بين الشرق والغرب في روايتنا هذه "**وشيء آخر**" **لعبد الملك مرتاض.**

1 – علاقة تواصل وتفاهم:

إن العلاقة القائمة بين الشرق والغرب كانت علاقة صراع وتصادم إلا أنهما يمكن أن تكون علاقتهما اتصالية وتواصلية وبالتالي يصبحان كتلة واحدة يجمعهما الود والحب والتعاطف والتفاهم.

ففي روايتنا هذه "**وشيء آخر**" الروائي جسّد لنا العلاقة القائمة بين الشرق والغرب وذلك عن طريق العلاقة بين الشخصيات التي تمثل الأنا والشخصيات التي تمثل الآخر في الرواية يعني (علاقة الشرق بالغرب). فنلاحظ إذن شخصية **(التاجر الثري)** الذي يمثل الغرب وشخصية **(عمر)** الذي يمثل الشرق، فالعلاقة القائمة بينهما هي علاقة تفاهم وحب كعلاقة الأب بابنه، وتظهر تلك العلاقة الحميمة بينهما في قول عمر: «**عيّنني التاجر الطيّب، إذن، كبيرا للعمّال المياومين والمشاهرين معا، في مخازن تجارته النافقة، بعد أن ثبت لديه أني كنت بذلك جديرا بعد أن**

امتحنني فوجدني كاتبا قارئا وأمينا، حتّى أقيد له المبيعات والمشتريات وكل الحسابات الماليّة المتمخضة لها»[1].

وكذلك في قول التاجر: «**المرء يستقرّ حيث يعمل ويرزق ويجد التقدير من الآخرين فينعم بذلك بالا. ونحن نقدرك ونعزّك حتّى كأنّك ابننا**»[2]، وتظهر أيضا العلاقة الودية بين التاجر الثري وحسن معاملته لعمر في قول التاجر: «**فوطّن نفسك على أن تقيم بيننا، أبدا، مكرّما معزّا... أنت ذكيّ ونشيط ووسيم وأمين معا. إنك أصبحت منا. وإن قرّرت البقاء بيننا على سبيل التأبيد**»[3] إذن يتبين لنا أن العلاقة القائمة بين **التاجر الثري** (الرجل الغربي) **وعمر** (الرجل الشرقي) هي علاقة صداقة ووفاء، فالتاجر قام بمساعدة **عمر** في أصعب الظروف التي عان منها، فعمر جاء من الجزائر البلد المتخلّف والضعيف يعاني من الفقر والجهل والأمية قصد ذلك البلد الغربي من أجل تحسين ظروفه المعيشية وأوضاعه المزرية والمأساوية، وبالتالي وجد نفسه في بلد علمي وثقافي يساعد الغرباء والمحتاجين.

نجد كذلك الروائي قام بتجسيد العلاقة الحميمية التي تجمع بين الشخصية الغربية التي تدعى **(كاترين)** والشخصية الشرقية التي تدعى **(كريم)** فلقد كانت علاقتهما علاقة حب ووفاء وعطاء.

ونلمس ذلك في قول كاترين: «**ماذا تنتظر، يا كريم؟ ألا تزال تتحرّج منّا؟ اعتبر نفسك في بيتك**

---

[1] رواية وشيء آخر، ص 264.

[2] - المصدر نفسه، ص269.

[3] - المصدر نفسه، ص 269 .

الثاني، ولا تتحرج شيئا. فأنت منا ولنا»[1]، وكذلك في قوله: «**إذن، أنت منّا! إلاّ إذا كنت لا تقبلنا!**»[2]، إذن فالعلاقة التي تجمع **عمر** و**كاترين** هي علاقة حب ووفاء وود. وهنا نلمس العلاقة التواصلية بين الشاب الجزائري والمرأة الفرنسية، فالروائي تحدث عن هاتين الشخصيتين **عمر** و**كاترين** إذ تربطهما علاقة حميمية وكل واحد منهما يكن للآخر الحب والعطاء.

ب – علاقة صدام:

رغم التفاهم والتواصل الذي يجمع الشرق بالغرب إلا أنه هناك بعض الصراعات التي تنشأ بينهما، والسبب يعود إلى كون الغرب هو البلد المتفوق على العالم الشرقي وبالتالي رغب في فرض سيطرته وهيمنته عليه وسلب ذاتيته وحريته، وهنا شعر الشرقيون بالإهانة والحرمان والذل فتكوّنت لدى الشرقي للغرب نظرة عدوانية، حيث شعرت الأنا بالإهانة والتهميش.

نلاحظ في روايتنا "**وشيء آخر**" أنّ الروائي جسد لنا العلاقة الصدامية بين الشرق والغرب وذلك عن طريق بلدين مختلفين تماما، البلد الأول هو **الجزائر** من خلال "منطقة الزيتونة العليا" الذي ينتمي إليها الرجل الشرقي "**عمر**" وأما بالنسبة للبلد الثاني هي **فرنسا** من خلال منطقة تدعى بمملكة الشقاء التي تنتمي إلى البلد الغربي. فهذه المملكة كانت ترفض الغرباء ولا تحب استقبالهم أو التواجد معهم. "**عمر**" يعيش في منطقة تدعى بالزيتونية العليا التي كانت تعاني من الجهل والتخلّف والفقر والأمية، فذات يوم قرر الهجرة والسفر إلى مكان أفضل يجد فيه كل متطلبات

[1] - رواية وشيء آخر، ص 469.

[2] - المصدر نفسه، ص 471.

الحياة وكذلك كسب المال من أجل زوجته "**سارة الحسناء**"، فسافر إذن ولكنه لا يعرف إلى أين سوف يسافر، إلى أن وصل إلى مكان يدعى **بمملكة الشقاء** التي يحكمها ملك ظالم ويرفض تماما استقبال أي غريب يقصدها. فلما وصل "**عمر**" إلى تلك المملكة اتهموه بالتجسس وأدخلوه السجن، وبالتالي عمر عاش ظروف قاسية آنذاك في قوله: «**لا أستطيع وصف الحال التي كنت أعيشها. أو قولي: الحال التي كنت بين الموت والحياة أصارع فيها... عذاب في عذاب، في عذاب! وشقاء في شقاء، في شقاء!**»[1].

وكذلك في قوله: «...**عاملوني معاملة الجمل الأجرب، فكانوا يحتقرونني، ولا يكادون يلتفتون إلى حاجاتي، إلاّ قليلا جدّا. وإلاّ بعد الإلحاح والترجّي...**»[2]، وهذا يعني أن تلك المملكة تكره الشرقيون وترفض الأجانب وبالتالي كان "**عمر**" الضحية المبتلى.

تظهر أيضا معاناة **عمر** أثناء سفره إلى تلك المملكة في قوله: «**تجشّمت وتحمّلت. تكأدت من الهمّ والحرمان والذّل ما تكأدت. لم أكن آكل من أصل الطعام إلاّ نادرا. بل كانوا يلقون إليّ بما فضل منه عنهم إلقاء**»[3]، وهنا تظهر لنا العلاقة الانفصالية والصدامية بين الشرق والغرب فالغرب ترفض استقبال الأجانب (الشرق)، وبالتالي هذه الأخيرة شعرت وعاشت معاناة مزرية في ذلك البلد الغربي ويتبين لنا هذا من خلال هذا القول: «**كان الظلام الذي يخّيم على زنزانتي يظاهر**

---

[1] – رواية وشيء آخر، ص228.

[2] – المصدر نفسه، ص230.

[3] – المصدر نفسه، ص 230.

القمل فيسرح ويمرح في جسمي فلا أستطيع له رصدا... أحكّ جلدي بأظافري التي طالت فكانت كالخناجر الماضية أستطيع أن أذبح بها الطّير ذبحا»[1].

وكذلك في قوله: «**بدأت أشّم في جسمي رائحة كريهة غريبة. لم أكن أعهدها فيه قبلا. أدركت حينئذ أنّ الإنسان ليس شيئا دون استحمام وماء. يصبح كالحيوان القذر»[2].**

وخلاصة القول مما سبق نجد أن الغرب احتقر الشرق وعامله بطريقة وحشية ترفض تماما معاشرته والتواجد معه. فالعلاقة بينهما هي علاقة انفصال وصراع وصدام.

المبحث الثالث: الأنا والآخر في رواية " وشيء آخر":

أ – دراسة الأنا عبر الشخصيات:

تعتبر الشخصية من أهم مكونات العمل السردي لأنها بطبيعة الحال هي من تدير المواقف والأحداث، بالتالي لها علاقة وطيدة مع الزمان والمكان.

فالأنا مرتبطة ارتباطا وثيقًا بشخصيات الرواية لأنّها تمثل هذا الأنا نذكر منها:

1-سارة:

هي من الشخصيات الرئيسية والمحورية في هذه الرواية فهي المرأة البسيطة التي تركها زوجها، تمثل المرأة الجزائرية، سافر بعيدا للبحث عن حياة أفضل، لكن سارة بقيت مناضلة ولم

---

[1] – المصدر السابق، ص 238.

[2] – المصدر نفسه، ص 232.

تسلّم نفسها لأطماع القرية. ويظهر ذلك في الرواية: «**وعلى الرغم من تقدُّم كثير من خيار رجال الزيتونيّة العليا لخطبتها، رفضتهم جميعًا رَجُلاً، رجلاً...**»[1]، فقد حافظت على شرفها.

قدّم لنا الروائي هذه الشخصية كنموذج حي، فسارة المرأة الجزائرية الحسناء كافحت كفاحا كبيرًا بغية العيش بكرامة، ولم تفقد الأمل في عودة زوجها عمر، سارة شخصية عاشت المأساة بكل معنى الكلمة، لكنها لم تستسلم.

تمثّل شخصية (**سارة**) الأنا، حيث جسّدت الواقع الحقيقي الذي تعيشه من اضطهاد واستعمار من طرف الآخر (فرنسا). فهي تعيش في قرية الزيتونية، **سارة** عاشت في فقر، تمارس الزراعة وحدها في بستانها، لكن تغيرت حياتها بعدما تعرفت على الملكة الجنية التي تدعى "خناتيتوس" وكوّنت صداقة معها، وتعلّقت بها، «**أحبّت خناتيتوس" الملكة الجنّية سارة الخلوقيّة وتعلّقت بها تعلّقا شديدًا. لم تدر لماذ؟ لكنّها أحبّتها وتعلقت بها. أصبحت لها صديقًا**»[2].

وهكذا فقد تغيرت حياة "**سارة**" الحسناء وأصبحت امرأة متعلمة وثرية بعدما كانت تعاني من الفقر والجهل والأمية في قريتها المتخلّفة والضعيفة ويتبين لنا هذا في قوله: «**شاع بين نساء الزيتونيّة العليا أنّ سارة أمست عالمة، أيضا، بعد أن لم تكن إلاّ غانية حسناء، ولكن تتبحبح في عريض الثراء! صارت تستطيع أن تتحدّث بالعربيّة الفصحى؟**»[3]، فشخصية سارة إذن وظفها

---

[1] – رواية وشيء آخر، ص 34 – 35.

[2] – رواية وشيء آخر، ص 46.

[3] – المصدر نفسه، ص 111.

الروائي في روايتنا هذه لتمثل المرأة الجزائرية إبان الاستعمار الفرنسي وذلك انطلاقا من المعاناة التي خلّفها الاستعمار، فهي شخصية تحاول التمسّك بالحياة ومقاومة كل العراقيل والصعوبات رغم الوحدة التي عاشتها، هذه الشخصية حملت في طياتها ووجهت رسالة إلى المجتمع والقارئ فرغم الفقر والمعاناة التي مرّت بها لكنّها لم تتخلى عن أصولها بل تعلّمت وتثقفت وساهمت في تغيير أوضاع القرية إلى الأفضل.

2-عمر:

يمثّل الرجل الجزائري الذي أراد كغيره من الناس أن يعيش في رغد مع زوجته، لأنه كان يعيش في فقر وجهل، وعاجز على تلبية طلبات زوجته **سارة**، فقرّر الذهاب إلى بلاد غربية والسفر من أجل توفير الرزق «.... **أريدك أن تكوني أسعد حالاً، وأنعم عيشًا، وأفضل مكانًا، من كلّ نساء الزيتونيّة العليا، فإنّي أزمعت الذّهاب إلى حيث أنال من المال ما نغيّر بفضل اكتسابه قوام حياتنا**»[1].

حاول الراوي أن يقدم شخصية "**عمر**" التي تعاني من الفقر والانحطاط والأمية في قريته حاول الخروج من هذه القوقعة بالحقيقة التي يجهلها، من خلال التهميش الذي عاشه في بلد أجنبي «**مملكة الشقاء عنصريّون لا يحبّون الأجنبيّ أن يعيش بينهم في ديارهم، فكنت أن بينهم**

[1] – رواية وشيء آخر، ص 37 – 38.

الضحيّة، المبتلى»[1]، لقد تعرض **عمر** إلى الكره وعدم القبول به في الغرب، بالتالي نظر إلى الآخر نظرة مستعمر ومستبّد حاول طمس هويته وثقافته وجوده.

عمر يمثّل "الأنا" (الجزائر) التي استعمرت من طرف الآخر (فرنسا) فقد سلبت حقوقه، ولم يستطع حتى الدفاع عن نفسه، والبحث عن هويته وإثبات ذاته، فلم تعطى له الفرصة لتحقيق ذلك. هكذا فلقد شعر عمر (الشاب الجزائري) بالإهانة من طرف الآخر المستعمر الذي حاول استغلاله واحتقاره وظلمه.

3-كريم:

هي شخصية طموحة محبة للعلم، أخذ العلم على يد والدته **سارة**، فهي بمثابة المعلّم أخذ دور البطولة في هذه الرواية، كان يمثّل الطالب المجتهد الذي أراد تحقيق حلمه في مواصلة دراسته في أوروبا، احتكّ بالآخر، وتعرّف على ثقافته التي تختلف اختلافا كبيرا عن قريته، حتى أنه كوّن صداقات وحاول التعايش معهم، فلم يكن تلك الشخصية المتشائمة من الأجنبي بل بالعكس، فقد كوّن ذاته وشخصيته رغم كل الظروف المحيطة به، والفجوة بين العرب والغرب.

أخذنا عبد الملك مرتاض إلى حضارة أخرى حضارة يقبع فيها العلم والمعرفة وهذا دليل على التقدم والتطور،أي أنّ الغرب متقدمون ومتفوقون عن الشرق الذي لا يزال يسير إلى الوراء . لكن بالرغم من هذا الانحطاط مازالوا متحكّمين في جذورهم الأصلية. **فكريم** يمثل هذا الجانب فهو لم

[1] – المصدر نفسه، ص 230.

يتخلى عن مبادئه بل سار عليها بالرغم من محاولة العديد من الناس من أن ينقصوا من قيمته خاصّة وأنه جزائري الأصل، **كريم** قوي الشخصية، فهو لم يسمح لحبّه لأجنبية أن يبتعد عن دينه وهويته، فهو يمثل الأنا العربية الإسلامية التي تمارس الدين والعقيدة الإسلامية على عكس الثقافة الغربية ويظهر ذلك من خلال حديث كاترين مع والتها: «**يا أللّه! أنا يا أمّي أريد أن أعرف عن الإسلام شيئا ما. قليلا أو كثيرا. ليس يعنيني الآن أن أسلم أو أظلّ مسيحيّة. ولكن هذا الإسلام أحببته من خلال حبّي كريمًا**»[1].

إذن شخصية **كريم** في هذه الرواية هي شخصية محورية تمثل الأنا (الجزائر).

ب – دراسة الآخر عبر الشخصيات:

1–كاترين:

تمثل هذه الشخصية في رواية "الآخر"، وهي الفتاة الفرنسية التي وقعت في حب الفتى الجزائري "**كريم**" أثناء التقائهما في القطار فهناك بدأت قصة حبهما بالرغم من وجود فروقات بينهما، فهما لم يكترثا لهذا ولم يهتما حتى أنها أعجبت بتراث الجزائر وعاداتهم وتقاليدهم، فرُغم أنّها عاشت في ترف وزهد فهي البنت الوحيدة لأمّها. ومن خلال هذه الشخصية أراد الراوي أن يوصل لنا فكرة وهي أن الإنسان الغربي ليس دائمًا متسلط ومستعمر للأنا، **فكاترين** على عكس هذا فقد تأقلمت وحاولت التعايش مع **(كريم)** بالرغم من أنه شاب جزائري ورغم وجود فروق بينهما.

[1] – رواية وشيء أخر، ص477.

«**هذا يوم تاريخيّ حقًا. لم يدخل دارنا أجنبيّ غيرك، قبلك، قطّ. أنت تدخلها، مرحّبًا بك لأنّنا لا نعدّك أجنبيًا. أنت، يا كريم صديق لنا، بل أنت منّا، وإلينا**»[1]، هنا تظهر ملامح الإنسانية من طرف **كاترين** وأمهّا، **فكريم** بالرغم من كونه جزائريا لكنها لم تعتبره غريبا عنها بل فردًا من العائلة وهذا مازاد **كريم** إعجابه بها، فهي لم تكن تلك الفرنسية التي تحتقر الحضارة الشرقية، بل حاولت أن تتعلّم عادات وتقاليد الشرق وأن تغير من أسلوب حياتها، فقد «**تعرّفت على عادات شتّى صارت كأنّها من أهلها، استهواها اللباس التقليديّ للفتيات الزيتونيّات فصارت لا ترتدي إلاّها. بدأت ترتدي البدعيّة، والقفطان...**»[2].

كاترين تمثل الآخر لكنّها إيجابية في تعاملها مع **كريم**، فهي محبّة للتراث الشرقي والرجل الشرقي الذي يختلف عن الرجل الغربي الذي يرى المرأة مجرّد وسيلة للترفيه فقط، ويظهر ذلك من خلال هذا المقطع الروائي «**أنت في المجتمع الفرنسيّ الذي قيمة المرأة فيه كقيمة أيّ بضاعة تباع وتشترى! إذا لم تحافظ المرأة نفسها على مكانها من الاحترام، فإنّ المجتمع لا يبالي بها**»[3]، هذا يعني أنّ المرأة في الغرب مجرد سلعة تباع وتشترى على عكس المرأة عند الشرق فقد أعطو لها مكانة راقية في المجتمع.

---

[1] – رواية وشيء آخر ص 468.

[2] – رواية وشيء آخر، ص 502.

[3] – رواية وشيء آخر، ص 399.

إذن فشخصية "**كاترين**" شخصية غربية متعلمة وتنظر إلى البلد الشرقي نظرة حب ووفاء ولا تحتقره رغم الخلافات الموجودة بينهما، فهي شخصية مثالية وعاطفية تحب الرجل الشرقي (الجزائري) ولهذا نجد أنّ **كريم** أحبّ **كاترين** لأنّها تختلف تمامًا عن الفتيات الأجنبيات الأخريات. إذن **كاترين** شخصية واعية، كما تمتاز بالذكاء والخبرة والعلم والمعرفة، وتهتم كثيرًا بالحضارة والثقافة الجزائرية إذ تحاول دائما الانفتاح والاندماج مع المجتمع الجزائري مع التمسك بالتقاليد الغربية.

2-موريس:

وردت شخصية "**موريس**" في روايتنا هذه على أنّها شخصية ثانوية تنتمي إلى الغرب.هذا الرجل ينظر إلى الشرق نظرة احتقار واستهزاء ويحاول استغلاله والسيطرة عليه. **موريس** يمثل (الآخر) الاستغلالي الذي يطمح ويريد احتقار الشرقي (الجزائري) في قول الراوي: «**أنا أعجب من الفرنسية والتقاليد الاجتماعية في بلدنا؟.... ثم تقبلين على معاشرة رجل حقير متخلّف لا يساوي في سوق القيم فلْسًا!**»[1]، هذا يعني أنّ **(موريس)** هو رجل عنصري لا يحب الجزائريين يراهم غرباء ويحتقرهم ويستغلهم.

[1] – رواية وشيء آخر، ص 464.

4- علاقة الأنا والآخر بالمكان:

إنّ المكان له دور مهم في العمل الروائي، فالمكان هو الذي يولد الأحداث والوقائع في أي عمل روائي ما. فعن طريق المكان تتكشف أبعاد ودلالات متعدّدة فلا وجود لأحداث في غياب عنصر المكان الذي يلعب دورا فعالا في النّص الروائي.

فالمكان عنصر إنساني مرتبط بالسلوك البشري وهذا يعني أن المكان له علاقة تجمعه مع الإنسان، لأنّ في كل مكان أحداث ووقائع حدثت وذلك بفعل سلوك الإنسان وأفعاله وتصرفاته. وهكذا فإنّ المكان في العمل الروائي مهم جدّا ولا يمكن للشخصيات الروائية القيام بمهامها وأدوارها في غياب عنصر المكان.

لقد ركز الروائي في رويتنا "**وشيء آخر**" على محطات مكانية متعددّة ذات أبعاد مختلفة (اجتماعية، نفسية، اقتصادية وتاريخية خاصّة) ومن أهمها: الزيتونية العليا، مملكة الشقاء السجن.... .

فقرية الزيتونية عبارة عن مكان أو بلدة قديمة عمّها الفقر والأمية والجهل والخمول، وسكانها يعيشون في ظلام دامس في قول الروائي: «**كانت بلدتك –الزيتونية- أوّل أمرها، مجرّد مجموعة من القبور يسكنها أحياء**»[1]، فهذه القرية عبارة عن مكان أو حيز قديم يعيش فيه مجموعة من النّاس من بينهم (**عمر، الشيخ، وحنون، كريم، سارة**)، **عمر** ينتمي إلى تلك القرية، تزوج من **سارة**

[1] – رواية وشيء آخر، ص 10.

الحسناء ولكنّه لم يستطيع إسعادها لأنه فقير، لذلك قرّر الرحيل والابتعاد عن تلك القرية المتخلفة. إذن **عمر** الشاب الجزائري قد تخلى عن قريته وزوجته من أجل كسب المال والبحث عن ذاته ووجوده وكيانه.

عمر سئم من العيش في تلك القرية التي تدعى الزيتونية، وكذلك نراه ينتقل ما بين المزرعة التي تعتبر حيزا مفتوحًا وبين البئر، **فعمر** رغب في التخلّي عن تلك القرية والبحث عن الحرية والاستقلال والعيش في رغد. ولهذا نرى أن **عمر** سافر وابتعد عن قرية الزيتونية. قصد مكان أو بلد تدعى بمملكة الشقاء لغرض كسب الرزق والعيش في رغد، ولكنّه صدم من ذلك البلد لأنهم يكرهون الأجانب وبالتالي أتُهم بالتجسس ودخل السجن الذي يعتبر فضاء مغلق، هنالك شعر بالعزلة والغربة في قوله: «**لم أقطع عنك أخباري مختارًا. بل كانت ظروف قاسية، بل مدلهمّة جدًّا، هي التّي أوقعتني في السجن ملك طاغية بعيدة مملكته عن بلدة الزيتونية العليا بعدًا شاسعًا**»[1]، إذن **عمر** الشاب الجزائري عاش أوضاعا مزرية في بلدته وبالتّالي فإن الفضاء والمكان الذي يعيش فيه عمّت فيه الأوضاع المزرية بأشكالها المختلفة وبالتالي لم يستطع **عمر** تغييرها بل بقي عاجزا لإيجاد الحلول المناسبة لها، ولذلك قرر الرحيل والبحث عن حياة أفضل.

عمر دخل السجن ظلمًا وهنالك شعر بالذل والحرمان، فالسجن هو فضاء مغلق وضيق وبالتالي شعر عمر الشاب الجزائري في ذلك الفضاء المغلق بفقدانه الطمأنينة والراحة النفسية

[1] – رواية وشيء آخر، ص 228.

وكذلك فقدانه الحرية والاستقلال، فالسجن بالنسبة "**لعمر**" هو فضاء يحمل العداء والكره . فالسجن هو ذلك "الآخر" الوحشي والأجنبي الذي لا يرحم الأنا الشرقية (الجزائر).

هذا الفضاء والمكان بالنسبة "**لعمر**" هو مصدر العذاب والألم والخشوع والشقاء، قصد ذلك المكان "مملكة الشقاء" لغرض كسب الرزق ولكن تلك البلدة لا تستقبل الأجانب وتحتقرهم، ثم أدخلوه السجن ظلمًا، وبالتالي **اعتبر** "عمر" ذلك الفضاء (السجن) إهانة وإنقاص من قيمته وهو يقول: «**تجشمت وتحمّلت. تكأدت من الهمّ والحرمان والذّل ما تكأدت**»[1].

فالسجن فضاء مغلق يسلب من الإنسان حريته، ولهذا نجد أن **عمر** شعر بفقدان حريته. حيث أنّه جاء من بلدة متخلفة قصد البحث عن الحرية والاستقلال وفجأة صدم بالواقع ووجد نفسه أمام فضاء ومكان مغلق ومنعزل، هرب من مكان مفتوح (الزيتونية العليا) ولكنّه لقي العكس في قوله: «**ظلت في السجن لا احد يسأل عنّي، ولا يعرف لماذا كنت سجينًا؟ كانت حياتي في ذلك السجن المظلم جحيما. لا أستطيع وصف الحال التّي كنت أعيشها**»[2].

وهكذا فقد شعر **عمر** بالإهانة والذل في ذلك الفضاء المغلق، وبالتالي نراه يحن إلى فضائه الأصلي (قريته الزيتونية العليا)، حيث شعر بالغربة والتهميش في ذلك الفضاء المنغلق. ونخلص إلى القول أن علاقة الأنا (**عمر**) بالمكان "السجن" (الآخر) هي علاقة تنافر وعداء.

---

[1] – رواية وشيء آخر، ص 230.

[2] - المصدر نفسه، ص 228 .

بعد دراستنا لإشكالية "الأنا والآخر" في رواية "وشيء آخر" لعبد الملك مرتاض توصلنا إلى جملة من النتائج ولعل أبرزها مايلي:

- لقد تمكن الروائي أن يصوّر لنا الأوضاع المأساوية والمزرية التي مرت بها الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي، وكذا الضعف والتخلّف الذي عانت منه.
- ارتكزت الرواية كثيرا على موضوع التقدم والتخلّف القائم بين الشرق(الأنا) والغرب (الآخر).
- استطاع الروائي أن يبرز لنا مدى الاختلاف الموجود بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية إضافة هذه الرواية عالجت الكثير من القضايا العالقة في المجتمع مثل: قضية الغنى والفقر،الجنس والإنس، الخير والشر، وذلك قضية الهوية والانتماء وإثبات الذات والوجود.
- رصد لنا الروائي في روايتنا هذه إعجاب الأنا (الشرق) بالآخر (الغرب) والانبهار به وهذا بسبب التقدم والرقي الذي تزخر به الثقافة الغربية، لهذا نجد "الأنا" انفتحت وحاول والاندماج والانتقال إلى فضاء الآخر والتّعرف على حضارتهم وثقافتهم وكذا لكشف الضعف والتخلّف والانحطاط الذي تعاني منه "الأنا".
- إنّ البطل الجزائري في روايتنا هذه نراه مسافرا إلى بلاد الغرب وذلك لغرض طلب العلم والمعرفة وكذا التّعرف على الثقافة والتقاليد الغربية المختلفة تمامًا عن التقاليد الشرقية باعتبار هذا الأخير بلد يعاني من الضعف والحرمان والذّل والأمية.
- لقد انبهرت الجزائر بالغرب في روايتنا هذه، وذلك من خلال العمران والمدن التّي يزخر بها الغرب وكذلك مدى التحضّر والتّقدم الذي يتمتع به، لكن من جهة أخرى نجد مقاطع روائية تؤكد انغلاق

الأنا(الجزائر) على الآخر(فرنسا)، واعتبرته عدوا له الذي لا يرحم وهذا راجع إلى الخراب والدمار الذي تسببت به فرنسا للجزائر إبان الاستعمار وكذا سلب كل ممتلكاتها وأراضيها.

- تبين لنا الرواية نضال وكفاح الأنا من أجل نيل الحرية التّي سُلبت منها من طرف الآخر الغربي (فرنسا)، كما حاولت أيضا إثبات ذاتها ووجودها وانتمائها.
- استطاع الروائي في روايتنا هذه أن يبرز لنا بعض الملامح الإنسانية والحضارية التّي يتمتع بها الآخر الغربي.
- الرواية تعالج نقاط الضعف والقوة بين الأنا والآخر.
- نلاحظ في روايتنا هذه انتشار المطالعة عند الغربيين وكذا انتشار الكثير من المكتبات وهذا ما يؤكد الاختلاف القائم بين الحضارة الشرقية (الأنا) والحضارة الغربية (الآخر).
- وأخيرا تمكنت "الأنا" من الاندماج والتواصل مع الثقافة الغربية واستفادت من معارفها وعلومها.

الفصل الأول:(من ص1 – ص9):

يتكون من 9 صفحات، بدأ الراوي فصله هذا بالحديث عن القطار، حيث قام بمقارنة بين القطار في الجزائر ، والقطار في الغرب، وهو مشهد انتقادي حين قام بنقد القطار الجزائري الذي يختلف مع الآخر، والراوي هنا يحاول أن يعبّر عن واقع الأمة العربية من خلال تصوير هذا المشهد. فهي أصيبت بالوهن والعجز مقارنة مع بلاد الغرب، فقطارهم اليوم أشبه بالطائرات من حيث السرعة والراحة، وهذا يدل على سرعة التّطور.

الفصل الثاني: (ص 10 – ص 33):

يواصل الرّوائي الحديث عن الحالة المزرية التي يعيشها سكان الزيتونية. وقد تحدث عن شخصية بارزة في القرية هي "**الشيخ دحنون**" حيث أدخلنا الراوي في عالم العجائبية أين يتداخل الواقع بالخيال، فسكان الزيتونيّة يتقاسمون البئر مع الجن، ففي النهار يكون للسكان والليل للجن حتى أنهم بنوا مملكة تحت البئر أطلقوا عليها اسم "الثخشضار"، وقد وقع جدال حول البئر هل حفرها الجن، أم الولي الصالح الراقد في ترتبها، لكن الحقيقة تغيب عن الجميع.

الفصل الثالث: (من ص 34 إلى ص 321):

تحدث عن شخصية أخرى هي "**سارة**" المرأة البسيطة المثالية التي غاب عنها زوجها لمدة سبع سنوات من أجل كسب الرزق والعيش في رغد، ثم تعرفها على الجنية "**خناتيتوس**" التي أغدقت عليها بالذهب والمرجان وتعليمها مختلف العلوم والآداب، وفي الأخير عودة **عمر** إلى زوجته، وسرده لمغامراته مرورًا بمملكة الصّفاء وصولا إلى مملكة الشقاء.

الفصل الرابع: (من 322 – ص 367):

يبدأ الفصل عن سبب تسميته "الزيتونية العليا"، نسبة إلى شجرة الزيتونية المباركة، أما العليا لأنها تعاكس السفلى (مملكة الجن). كما تحدّث الراوي عن فتات تدعى **سلمى** والشاب الفقير الذي وقع في حبها وانتهى هذا الفصل بالشجار الذي وقع بين الفتى الغربي **أحمد** ووفاته وبعد هذه الحادثة أصيبت المشيخات بقحط إلاّ الزيتونيّة ظلت في خصب ونماء، وهذا ما أدى إلى غزوها وإبادة كل انسها وجنّها.

الفصل الخامس: (من 368 – 375):

اتّخاذ **سارة** دور المعلم في تعليم ابنها **كريم**، كانت تتميز بالذكاء والحكمة، وأنشأت جمعية خيرية لمساعدة المعدمين، وإرسال ابنها **كريم** إلى أوروبا لمواصلة دراسته.

الفصل السادس: (من ص 376 – ص 523):

يعود بنا الرّوائي **عبد المالك مرتاض** إلى القطار ووصفه لمنظر أدهشه وهو فعل القراءة لدى الغرب سواء كان صغيرًا أو كبيرًا، وتعرّف **كريم** على **كاترين** داخل القطار وإعجابه بجمالها البديع وانتهى هذا الإعجاب بموافقة العائلتان بزواجهما، وتنتهي الرواية بموت سوزان ابنة خالة كاترين وزوجها في برج نيويورك بعد إنفجارات 11 سبتمبر 2001 وهي نهاية الحب.

1قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أ – المصادر:

1- عبد الملك مرتاض، وشيء آخر...، تجريب في نمنمة اللّغة، وعجائبية الحدث، دار القدس العربي، ط1، وهران، 2018.

ب – المراجع:

1- باديس فوغالي، دراسات في القصة والرواية، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، 2010.

2- ميخائيل إبراهيم أسعد، شخصيتي كيف أعرفها؟، دار الأفاق الجديدة، ط3، لبنان، بيروت 2003.

3- أحمد البيوري، في الرواية العربية التكون والاشتغال، الرباط، المغرب، ط1، 2000 .

4- أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، مكتبة مديولي، القاهرة، مصر، د ت.

5- أحمد ياسين سليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر، دار الزمان ط1، دمشق، سوريا، 2009.

6- السيد عمر، الأنا والآخر (من منظور قرآني)، دار الفكر، دمشق، 2008.

7- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

8- بشرى كاظم الحوشان الشمري، علم نفس الشخصية، دار الفرقان، عمان، الأردن ،2007.

9- رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية المعاصرة، دار الشروق، ط1، عمان الأردن، 2003.

10- صلاح صالح، سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللّغة السردية)، المركز الثقافي العربي، ط1 الرباط، المغرب، 2003.

11- عبد القادر الشاوي، الكتابة والوجود (السيرة الذاتية في المغرب)، أفريقيا الشرق، بيروت لبنان، 2000.

12- علي بن إبراهيم النملة، الشرق والغرب (منطلقات العلاقات ومحدّداتها)، دار بيسان، ط3 بيروت، لبنان، 2010.

13- فاضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخر الشعر الأموي (دراسة نصية)، دار عيداء، ط1 عمان، الأردن، 2011.

14- فايز صلاح عثمانة، السرد في رواية السيرة الذاتية العربية، دار الوراق، ط1، عمان الأردن، 2014 .

15- فؤاد كامل الغيزني، فلسفة ساتر، دار المعارف، مصر، القاهرة، د ت.

16- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر(نماذج روائية)، عالم المعرفة، الرباط، المغرب، ط1 2003.

17- محمد الخيار، صورة الآخر في شعر المتنبي، نقد ثقافي، دار الفارس، ط1، بيروت، لبنان 2009.

18- محمد الداهي، صورة الأنا والآخر في السرد، دار رؤية، ط1، القاهرة، مصر 2013.

19- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية المعاصرة، منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق، سوريا، 2002.

20- محمد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة، ط1، بيروت، لبنان، 1981 .

21- ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الرباط المغرب، 2002.

22- نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني(دراسة موضوعية وفنية)، دار العلم والإيمان ، دمشق، سوريا، 2009.

23- نادر كاظم، الهوية والسرد، دراسات في النظرية والنقد الثقافي، دار الفراشة، ط2، الكويت 2016.

24- نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس، ط1، بيروت لبنان، 2013 .

ج- المراجع المترجمة:

1- إدوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عنانى، رؤية للنشر والتوزيع ط1، القاهرة مصر، 2006 .

2 - بول ريكور، الهوية والسرد، تر: حاتم الورفلي، دار التنوير، بيروت، لبنان، 2009.

3- الشريف الجرجاني، التعريفات، تر: إبراهيم الأبيارى، دار الكتب العربي، ط1، بيروت، لبنان 1958.

4- جان بول سارتر، الكينونة والعدم (بحث في الأنطولوجيا الفنومينولوجية)، تر: نقولا متيني المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2009 .

5- جيرار جنيت، خطاب الحكاية، تر: محمد معتصم -عبد الجليل الأزدي -عمر الحلي منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000.

6- ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطنينوس، منشورات عويدات، ط3 بيروت، لبنان، 1986 .

د – المعاجم:

1- المنجد الأبجدي، المكتبة الشرقية، دار المشرق، ط5، بيروت، لبنان، 1982 .

2- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللّغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة مصر، 1983 .

3- إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا.

4- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت لبنان.

5 – أحمد أبو حاقة، معجم النفائس، دار النفائس، لبنان، د ت.

6 - الجوهري، معجم الصحاح، دار المعرفة، ط3، لبنان، بيروت، 2008.

7- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982 .

8- لويس معلوف، المنجد في اللّغة والإعلام، مادة (أن)، دار المشرق والمكتبة الشرقية، ط 1 لبنان، 1993.

9- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007 .

هـ – المجلات:

1- الطاهر جاووت، "السرد وتشكل الهوية (قراءات في الرواية البحث عن العظام)"، مجلة المخبر، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، العدد 13، جامعة بسكرة (الجزائر)، 2017.

2- سوسن البياتي، "النهضة الفكرية وأثرها في الصراع مع الآخر"، مجلة آداب الفراهيدي، العدد3 حزيران، جامعة تكريت، 2010.

و – المواقع الإلكترونية:

1- إيمان صالح ، جدلية العلاقة بين الشرق والغرب وهاجس الخوف المتبادل ، مقال من الإنترنت

17-5-2008 , http// www.alwatan.com

2- جميل حمداوي، صورة جدلية الأنا والأخر في الخطاب الروائي العربي، مقال الإنترنت

2019-5-26,http//www.almothqaF.com

المحتـــــــــــــــــــــــــوى	الصفحـــــــة
البسملة	
الإهداءات	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ- ج
المدخل	5-15
الفصـــل الأول : **السرد وإشكالية الأنا والآخر**	
المبحث 1: مفهوم الأنا والآخر أ – لغة ب- اصطلاحا.	17- 24
المبحث 2: مفهوم الهوية أ – لغة ب- اصطلاحا.	25-29
المبحث 3:صورة اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب أ- نظرة الشرق(الأنا) إلى الغرب(الآخر). ب- نظرة الغرب(الآخر)إلى الشرق(الأنا).	30-34 35-38

ج– علاقة الأنا (الشرق) بالآخر(الغرب).	42-39
الفصل الثاني: تجلّي صورة الأنا والآخر في رواية وشيء آخر لعبد الملك مرتاض	
المبحث 1: مواقف عبد الملك مرتاض من الغرب.	
أ– النظرة الإنبهارية.	53-44
ب – النظرة العدوانية.	58-54
ج – النظرة الحضارية.	63-59
المبحث 2: حضور الهوية من خلال اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب	
أ– نظرة الشرق إلى الغرب في رواية" وشيء آخر".	70-64
ب – نظرة الغرب إلى الشرق في رواية" وشيء آخر".	75-71
ج – علاقة الأنا والآخر في رواية " وشيء آخر" .	80-76
المبحث 3: تمثل الشخصيات لعلاقة الأنا بالآخر	
أ– شخصيات الأنا.	84-81
ب– شخصيات الآخر.	87-85
ج– علاقة الأنا والآخر بالمكان.	90-88
خاتمة	93-92
ملخص	96-95

قائمة المصادر والمراجع	102-98
فهرس المحتويات	106-104

الملخص:

الأنا والآخر ثنائية وإشكالية عرفت منذ القديم ، طرحها العديد من المفكرين في أعمالهم المختلفة، حيث صوّروا الواقع المعاش الذي مرّ به الإنسان العربي خاصّة إبان الاستعمار الذي مارس كل أنواع القمع والتهميش، وهذا ما جعل الأدباء يصورون الأنا العربية خاصّة الجزائرية ويقومون بمقارنة بينها وبين الآخر الغربي .

من بين هؤلاء الروائيون عبد الملك مرتاض في روايته وشيء آخر، فقد قام بمقارنة بين الشرق والغرب (الأنا والآخر).

الكلمات المفتاحية: الأنا ، الآخر، الشرق، الغرب، التقدم ، التخلف، القمع ، التهميش الاستعمار.